الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي–

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

محاضـــــرات مـــــادة النقـــد الاجتمـــــاعي

المستوى: السنة الثالثة ليسانس

تخصص: نقد ومناهج

السداسي الخامس

الدكتورة: دلال فاضل

الموسم الجامعي: 2022/2021

عنوان الليسانس: نقد ومناهج

السداسي: الخامس

الأستاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الأساسية:

الأستاذ المسؤول على المادة:

المادة: النقد الاجتماعي (محاضرة+أعمال موجهة)

أهداف التعليم:

المعارف المسبقة المطلوبة:

محتوى المادة:

السداسي الأول: وحدة التعليم الأساسية	مادة: النقد الاجتماعي	المعامل: 03	الرصيد: 05

رقم	مفردات المحاضرة	مفردات الأعمال الموجهة
01	علاقة الأدب بالمجتمع	تحليل نصوص: علم الاجتماع الأدبي
02	العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة	تحليل نصوص: جون باتيست فيكو
03	مدام دي ستايل	تحليل نصوص: نصوص الأدب في علاقته بالمؤسسة الاجتماعية
04	ثلاثية تين (البيئة. العرق. الجنس)	تحليل نصوص: نصوص تين
05	المنهج التاريخي لانسون	تحليل نصوص: نصوص لانسون
06	بلخانوف نظرية الانعكاس	تحليل نصوص: نصوص بليخانوف
07	الأدب والثورة	تحليل نصوص: نصوص لينين
08	الواقعية الاشتراكية	تحليل النصوص: مكسيم غوركي
09	بلنسكي والممارسة النقدية	تحليل النصوص:نصوص بلنسكي
10	ألتوسير	تحليل النصوص: الأيديولوجية وأجهزة الدولة الأيديولوجية
11	أنتونيوغرامشي، المثقف والمجتمع	تحليل نصوص أنتونيوغرامشي
12	سلامة موسى	تحليل النصوص: الأدب للشعب
13	التنظير الواقعي مع حسين مروة	تحليل نصوص: حسين مروة
14	محمود أمين العالم	تحليل نصوص أمين العالم

1–الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثالثة ليسانس، تخصص نقد ومناهج.

2–الأهداف:

– يتعرف الطالب على تحولات مسار النقد الاجتماعي عبر سيرورته التاريخية، وظروف نشأته في مطلع العصر الحديث.

– تأسيس خلفية معرفية للنقد الاجتماعي والتعرف على قضاياه النقدية، والتعرف على أهم الأطاريح التي بلورت بحثا عن العلاقة بين الأدب والمجتمع و التعرف على الخلفيات المعرفية التي أطرتها ابستيمووجيا.

– يتعرف الطالب على واقع النقد الاجتماعي الجدلي في خطابنا النقدي العربي من خلال عينة من الدراسات الرائدة.

3– التقييم:

تقييم المحاضرات: إجراء امتحان في نهاية السداسي.

تقييم الأعمال الموجهة: يكون التقييم متواصلا طوال السداسي.

مقـــدمـــة:

مقدمة:

خضع مسار النظرية الاجتماعية للأدب إلى تحولات عظمى على صعيد التصور المنهجي، والمفاهيم الإجرائية، والقضايا المعرفية المتعلقة بمرجعية النص الأدبي. تحولات تؤشر على وعي النقاد الماركسيين بضرورة تحيين الأطاريح النقدية التي تؤطر الأدب من الوجهة الاجتماعية، تحيينا يستجيب لمتطلبات المرحلة الحضارية، والسياقات السوسيوثقافية قصد صياغة أو إعادة صياغة نمذجة نقدية تسائل النص الأدبي، وتبحث عن واقعيته، و تكشف عن كيفية نقل الواقع إلى عالم المتخيل.

وتتنزل هذه المحاضرات البيداغوجية ضمن محطة من محطات النظرية النقدية الاجتماعية للأدب في صورتها الأولى، وأقصد بذلك: النقد الاجتماعي، إذ يكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للطالب الجامعي، المتخصص في حقل النقد الأدبي، أو النقد والمناهج، نظرا لطرحه جملة من الإشكاليات التي تثير جدلا معرفيا، وتفصح عن قدرة الفكر الإنساني على المحاورة الابستمولوجية لموضوع علاقة الأدب بالمجتمع.

ومن هذا المنظور شيّدت هذه المحاضرات على متابعة تحولات النقد الاجتماعي الجدلي، المتعدد الأطاريح النقدية التي تؤطرها الفلسفة الماركسية ابستمولوجيا، وتكشف هذه الأطاريح عن: سؤال نشأة النقد الاجتماعي، ورصد أهم القضايا المتعلقة بمرجعية الأدب، ومرتكزات التصورات النقدية، والإضافات النوعية، وكيفيات تمثل الناقد العربي لإواليات النقد الاجتماعي وإسهامه في دينامية الفعل النقدي العربي.

وتطمح هذه المحاضرات إلى الوقوف عند مرتكزات الرؤى النقدية المتعلقة بالبحث عن علاقة الأدب بالمجتمع في صورته الجدلية، والكشف عن أصولها المعرفية وبسط أهم مفاهيمها، وتتبع جذورها التاريخية، واستجلاء الخصوصية النوعية للناقد العربي عبر تمثله

النقد الجدلي رؤية وإجراء. كما تهدف هذه المحاضرات أيضا إلى تعريف طالب النقد الأدبي بتحولات النقد الاجتماعي الجدلي، وتتيح له مساءلة القضايا المعرفية المتعلقة به.

انحصرت هذه المحاضرات في أربعة عشر محاضرة، كان مدار المحاضرات الإحدى عشرة حول: الخلفيات المعرفية التي استند عليها المنظرون في رؤيتهم للعلاقة بين الأدب والمجتمع، والمعايير الابستمولوجية التي ارتهنت بها كل نظرية، والمفاهيم النقدية التي أثثت تصوراتهم وفصحت عن ماهيتهم النص الأدبي من حيث مرجعيته، أما المحاضرات المتبقية تتمحور حول كيفية إقامة حوار نقدي من لدن عصبة من النقاد العرب مع إواليات النقد الاجتماعي الجدلي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

تتناول المحاضرة الأولى "علاقة الأدب بالمجتمع" أهم الرؤى النقدية التي عالجت مرجعية الأدب من نظرية المحاكاة إلى النقد السوسيونصي، وتعالج المحاضرة الثانية "العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة" اسهامات المفكر الايطالي **جون باتيست** فيكو في إرساء دعائم للمنهج الاجتماعي، وتراهن المحاضرة الثالثة "**مدام دي ستايل**" على الوقوف عند رؤى الناقدة الفرنسية في إطار تعميقها أطروحات النقد الاجتماعي، وتعالج المحاضرة الرابعة "ثلاثية **تين** (البيئة_العرق_الجنس) مرتكزات النقد عند **تين**، وكان مدار المحاضرة الخامسة "المنهج التاريخي **لانسون**" حول إسهاماته في تطوير النظرية النقدية، وتتحدث المحاضرة السادسة "**بليخانوف** نظرية الانعكاس" عن الأطروحة النقدية للناقد **بليخانوف** الذي سعى إلى تعميقها، عبر دعوته إلى الاهتمام بالمعطى الجمالي للنص التخييلي، وعالجت المحاضرة السابعة "الأدب والثورة" إسهامات **لينين وتروتسكي** في تطوير النقد الاجتماعي عبر اشتغالهم على أدب الثورة، وخصصت المحاضرة الثامنة "الواقعية الاشتراكية" للحديث عن ماهية الواقعية في الأدب والنقد، وعن أنواعها. وتكشف المحاضرة التاسعة"**بلنسكي** وامارسة النقدية" عن رؤية الناقد **بيلنسكي** للعلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع، وتطرح المحاضرة العاشرة "**ألتوسير**" التفكير النقدي لدى **ألتوسير** وإضافاته النوعية في مسار النقد الاجتماعي، وتراهن المحاضرة

الإحدى عشرة "**أنتونيو غرامشي:** المثقف والسلطة" على الكشف عن الرؤية النقدية للناقد الايطالي غرامشي وموقفه من السلطة والمثقف، وعالجت المحاضرات "**سلامة موسى**"، و"التنظير الواقعي مع **حسين مروة**"، و"**محمود أمين العالم**" قضية تلقي النقد العربي للتصور السوسيولوجي من خلال هذه العينات التي تشكل الدراسات الرائدة في خطابنا العربي.

وختاما نأمل أن تكون هذه المحاضرات البيداغوجية، قد حققت رهاناتها المعرفية، والله من وراء القصد.

دلال فاضل

أم البواقي في:2021/06/25

المحاضرة الأولى: علاقة الأدب بالمجتمع

-تمهيد.

1-علم اجتماع الأدب: الماهية والرهانات المعرفية.

2-علاقة الحياة الأدبية بالحياة الاجتماعية: أسئلة النشأة والتحولات

2-1-نظرية المحاكاة وأصل النظرية الاجتماعية.

2-2-ابن خلدون والعلاقة الوظيفية.

2-3-جون باتيست فيكو والعلاقة التناظرية.

2-4-مدام دوستايل: البيئة والشخصية الاجتماعية.

2-5-هيبوليت تين والخصوصية الفردية.

2-6-جورج بليخانوف ونظرية الانعكاس.

2-7-من سوسيولوجيا المضامين إلى البنيوية التكوينية (لوكاتش/غولدمان).

2-8-ميخائيل باختين وبيير زيما وسوسيولوجيا النص.

تمهيد:

كرّست الدراسات النقدية التي تهتم باجتماعية الأدب، جهودها للبحث عن طبيعة العلاقة بين المتخيّل بتعدد أشكاله، وبين الواقع الاجتماعي، إيمانا منها بأن الأدب ماهو إلا إعادة إنتاج للحياة بمفهوم رينيه ويليك، وانعكاس لمختلف مظاهر المجتمع في الآن ذاته، فقد أثارت تلك الدراسات عديد الأسئلة، في ضوء تشبعها بالفلسفة الماركسية؛ من قبيل: ما الأدب؟ وما طبيعة العلاقة بينه وبين المجتمع؟ إلى أي مدى يمكن للأديب أن يعبر عن مجتمعه؟ وكيف يمكن تحديد تمثلات المجتمع داخل النص الأدبي؟ وفيم تكمن القيمة الجمالية للنص الإبداعي في ضوء المنهج الاجتماعي؟

وتأسيسا على هذا فقد سعت هذه الدراسات إلى صياغة تصورات نقدية تؤثثها مفاهيم إجرائية، ومقولات نقدية، متباينة تباين الخلفيات الفلسفية، والرهانات المعرفية، والشروط الحضارية المصاحبة لكل مرحلة من مراحل تطور الفكر النقدي الماركسي. وفي هذا النطاق يقودنا الحديث عن علاقة الأدب بالمجتمع، إلى متابعة تحولات مسار النظرية النقدية السوسيولوجية، وتقديم إضاءات لأهم المقولات النقدية التي بلورها الدارسون لإرساء دعائم المنهج الاجتماعي بأشكاله المتعددة، كما أجمع عليها النقاد.إذ سنقف عند كل تصور نقدي على حدة باختصار،نظرا لأننا سنقف عند تمفصلاته في محطة لاحقة،كما ينص عليه محتوى المادة المقرر.فالغاية في هذا النطاق تتحدد في معرفة مسار النقد الاجتماعي في الفكر النقدي.

1-علم اجتماع الأدب: الماهية والرهانات المعرفية

تقتضي منا طبيعة هذا الموضوع أن نشير إلى علم اجتماع الأدب بوصفه حقلا ابستيمولوجيا، أو اتجاها نقديا تبلور خلال القرن التاسع عشر، يهتم بمكونات العملية الإبداعية: مبدع/ ونص، ومتلقي، في علاقتها بالمجتمع، إذ ينطلق هذا الحقل من مسلّمة

مؤداها ارتباط النص الأدبي ببيئته ومعطياتها الفكرية والتاريخية، والثقافية، ويتحدد ماهيته بكونه "معرفة تحليلية تشتغل على العلائق الممكنة التي يدشنها الأدب مع أبنية المجتمع وحركياته"[1]. وقد راهن علم الاجتماع الأدبي على تحقيق جملة من الغايات بوصفه معرفة تحليلية "تسائل شروط إنتاجه (الأدب) في الأنساق والوضعيات الاجتماعية، باعتماد مقاربات مغايرة، [كما تسعى أيضا إلى] تفكيك العلائق القائمة بين الكاتب والعمل الأدبي والمجتمع من جهة ثالثة... بهدف الوصول إلى تفهم علمي للأسباب المؤدية إلى هذا الإنتاج في موضوعه وقيمته وممارسته أيضا."[2]

2-علاقة الحياة الأدبية بالحياة الاجتماعية: أسئلة النشأة والتحولات

إن المتتبع لمسار الدراسات السوسيولوجية للأدب، يقف عند عديد المحطات التي تعكس تطورها عبر سيرورتها التاريخية، وفي هذا السياق يمكن تقسيم مراحل تطور النقد الاجتماعي، وفقا لمنظور الناقد المغربي **حميد لحمداني** في كتابه "النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي" الصادر سنة 1990، والذي حصره في ثلاثة أشكال تؤشر على تمفصلات تشكل مفاهيم وإواليات النقد الاجتماعي، فكانت صورته الأولى في شكل نقد جدلي يهتم بسوسيولوجيا المضامين، ليتطور في مرحلة ثانية في شكل نقد يهتم بالقيم الجمالية للنص الروائي كشكل من أشكال المتخيّل يستجيب لروح المجتمع، وأقدر على تصوير تمفصلاته، والانفتاح على أجناس متعددة، علاوة على اهتمامه بشروط تكوينه، أما المرحلة الأخيرة التي شهدت تعميقا ونضجا كبيرين للمقولات النقدية السابقة، وتبلورت تصورات تهتم بالتشخيص الأدبي لقضايا المجتمع، وتستجلي حوارية النصوص الإبداعية عموما، والرواية على وجه الخصوص.

1-الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية، ص: 62.
2-المرجع نفسه، ص: 62.

2-1-نظرية المحاكاة وأصل النظرية الاجتماعية:

قبل تقديم إضاءات سريعة حول مراحل تطور النقد الاجتماعي عبر أعلامه ومقولاته، يبدو من المفيد الحديث عن أهم التصورات التي تبلورت قبل القرن الثامن عشر، والتي تعد الإرهاصات الأولى للبحث عن علاقة الأدب بالمجتمع، وأسهمت في تأسيس النظرية الاجتماعية. وقد أجمع النقاد على أن تاريخ البحث في اجتماعية الأدب يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث طرحت نظرية المحاكاة، كأولى النظريات النقدية التي أطرت الأدب في صلته بالعالم الخارجي، هذه النظرية التي "أرسى أسسها كل من أفلاطون، وأرسطو، تعد الأدب محاكاة للمحاكاة، ونزوع إلى ما يجب أن يكون وتجاوز لما هو كائن. وهنا تكمن دعوتها الصريحة للابتعاد عن الواقع في تمثل الحياة وتصويرها من منظور مثالي."[1] وبهذا المعنى تجلت ملامح النظرية الاجتماعية في طروحات الفكر اليوناني.

2-2-ابن خلدون والعلاقة الوظيفية:

من الثابت تاريخيا أن إسهامات المفكر العربي **ابن خلدون** (1332-1406) في تأسيس علم الاجتماع كبيرة، ولها عميق الأثر في بلورته كحقل معرفي قائم بذاته يهتم بالظواهر الاجتماعية والتاريخية، وتطور المجتمعات، وعلاقات الأفراد. وقد حاول **ابن خلدون** مناقشة أطروحة علاقة الأدب بالبيئة في "المقدمة"، وجعل مدار فصله "في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول" يتمحور حول علاقة الأديب بالدولة. إذ إنه "ربط الكتابة والأدب بمراحل تطور الدولة والمجتمع، متماشيا مع قانون دورة حياة الدول، فجعل العلاقة وظيفية بين الأديب والسلطة، والعصبية القائمة، والتي هي جزء أساسي فيها، ودوره عضوي في تبني مواقفها وفلسفتها، والدفاع عنها."[2] بهذا المعنى يتصور **ابن خلدون**، أن لكل دوله

1-عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي قراءة في حقيقة العلاقة وسيرورتها الملتقى الدولي الثاني النقد السوسيولوجي حول الخطاب النقدي الأدبي المعاصر، المركز الجامعي عباس لغرور، خنشلة، 2007.

2-المرجع السابق، ص: 13.

دورة حياة، وأن دور المثقف ينحصر في خدمة السلطة، وعلى هذا الأساس فالعلاقة بينهما وظيفية، لذلك يرى "الكتابة والأدب جزءا من المؤسسة الاجتماعية والسياسية الشاملة"[1].

2-3-جون باتيست فيكو والعلاقة التناظرية:

سعى المفكر الايطالي جون **باتيست فيكو** Jean Batiste (1668-1744) إلى تقديم محاولة لتأسيس أطروحة متعلقة بعلاقة الإنتاج الأدبي بالنسق الاجتماعي، إذ ركز على مقولة الزمان مؤمنا بأنه كلما تغير الزمان، تغيرت الأشكال الإبداعية، فالأدب مرتهن بالمرحلة الحضارية ومحمولاتها الفكرية، والاجتماعية والثقافية والسياسية، والجمالية، إذ يرى بأن "المجتمع لا يقدم أدبا فقط، لكنه ينمي أدباء يستخلصون أعمالهم ومهاراتهم الفنية منه"[3].

2-4-مدام دوستايل: البيئة والشخصية الاجتماعية

أجمعت الدراسات النقدية على أن الملامح العامة للنقد السوسيولوجي اتضحت في القرن الثامن عشر مع جهود الناقدة الفرنسية **مدام دوستايل Mme Destael** (1766-1817)، التي تأسست رؤيتها في سياق البحث عن اجتماعية الأدب على سؤال معرفي يتمحور حول تأثير البيئة، وخصوصيات الشخصية الاجتماعية في تشكيل النصوص الإبداعية، وتأثير "المؤسسات الاجتماعية مثل الدين، والأخلاق والعادات والقوانين وما إلى ذلك"[2] وانتهت إلى ربط الأدب بالمؤسسات الاجتماعية، وأن المكان مقولة تؤطر علاقة الأدب بالمجتمع وهكذا عمّقت أطروحة فيكو، إذ أكدت أن داخل المرحلة الحضارية نفسها يمكن أن تتغير الأشكال الأدبية.

---

1 -المرجع نفسه، ص: 13.

3- خرماش، محمد:النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب،الملتقى الدولي الثاني النقد السوسيولوجي حول الخطاب النقدي الأدبي المعاصر ،منشورات المركز الجامعي خنشلة،2007،ص:68

2 -المرجع نفسه، ص: 68.

2-5-هيبوليت تين والخصوصية الفردية للمبدع

أسهم **هيبوليت تين** H.Taine (1863-1893) في تعميق رؤيتي **فيكو ودوستايل** القائمتين على عنصري الزمان والمكان، وأضاف عنصرا ثالثا متمثلا في عنصر العرق أو الجنس بوصفه "مجموعة استعدادات سيكولوجية فطرية وراثية تضاف بصفة عامة إلى ميزات تتأثر بالمزاج والبنية الجسمية"[1]، وهكذا يشكل ثلاثيته (العرق، البيئة، اللحظة التاريخية) التي تتحكم في تصوره و تستثمر لقراءة النصوص الإبداعية.

2-6-جورج بليخانوف ونظرية الانعكاس:

طرح الناقد الروسي نظرية الانعكاس، تتويجا للمحاولات السابقة "مُحاولا تجاوز تصور **لينين** الجدلي، فهي نظرية تفسر دينامية التاريخ بجدلية الفكر والمادة واعتبار الأول ومنه الأدب_انعكاسا للثانية، ومنها الوجود الاجتماعي"[2]. واستنادا إلى الفلسفة المادية الجدلية، امتاح تصوره النقدي للعلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع الذي تتحكم فيه الصراعات الطبقية، وتنعكس على النصوص الإبداعية. واللافت للنظر أن **بليخانوف** دعا إلى ضرورة الاهتمام بالمعطى الجمالي أثناء كل مقاربة نقدية للنص الأدبي (الرواية)، ولكن هذه الدعوة بقيت حبيسة الجانب النظري فقط من نمذجته المطروحة، إذ إنه على صعيد الممارسة النقدية، نجده يهمل تماما هذا المعطى، ويركز فقط على القيم الايديولوجية، فرغم وعيه النقدي بالوظيفة الجمالية "إلا أنه لم يكن وفيا لها أثناء تصديه لتحليل الأعمال الأدبية"[3]. وبهذا يتنزل نقده ضمن نقد المضامين أو النقد الجدلي.

---

1 -عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 18.

2 -خرماش، محمد: النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب، الملتقى الدولي الثاني النقد السوسيولوجي حول الخطاب الأدبي المعاصر، منشورات المركز الجامعي خنشلة،2007، ص: 68.

3 -الجرطي، أحمد: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، ط1، 2014، ص: 29.

2-7-من سوسيولوجيا المضامين إلى البنيوية التكوينية (لوكاتش/غولدمان):

عرفت النمذجات النقدية التي تؤطر علاقة الأدب بالمجتمع تطور لافتا للنظر، نظرا لوعي المنظر المجري **جورج لوكاتش George Lukacs** (1885-1971) بضرورة توسيع آفاق النظرية الاجتماعية، والسعي إلى بلورة نظرية للرواية أكثر نضجا وفعالية أدائية، فقد "تمكن بحكم تشربه للرافد الفلسفي الهيجلي أن يعيد الاعتبار للشكل الأدبي، ويبحث عن كيفية تمثيله لمعطيات الواقع الخارجي تمثيلا مغايرا ينفذ للجوهر الكامن خلف تناقضاتها المرئية، كما استطاع **لوكاتش** أن يبلور أيضا نظرية خاصة به حول نشأة فن الرواية"[1]. إذ يقر بأن الرواية ملحمة برجوازية تستكنه حقيقة الذات والواقع. ويمكن القول إن لوكاتش في تحليلاته الرواية قد اهتم بالمعطى الايديولوجي، وأهمل المعطى الجمالي. وطرح عدة مفاهيمية تؤثث تصوره النقدي: الكلية والنمطية، والوعي الممكن والبطل الإشكالي.

وقد كرّس الناقد **لوسيان غولدمان Lucien Goldmen** (1913-1970) جهوده النقدية لتعميق طروحات أستاذه **لوكاتش**، فبحس نقدي بلور تصورا منهجيا جمع عبره إواليات النقد البنيوي وإواليات النقد الاجتماعي، إيمانا بأن النص إلى جانب كونه بنية لغوية، فهو بنية اجتماعية أيضا، إذ لا يمكن أن يتشكل خارج المرجعية الاجتماعية، فعرف تصوره بالبنيوية التكوينية Structuralisme génetique. فقد راهن **غولدمان** على البحث عن البنى الدالة، واستجلاء كيفيات تجسيدها الواقع. واقترح مرحلتين اثنتين لمقاربة النص الإبداعي من منظور البنيوية التكوينية، مرحلة الفهم التي تتأسس على التحليل البنيوي الشكلي، ومرحلة التفسير القائمة على الوقوف على المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تكوين النص الإبداعي. ويعد المصطلح الإجرائي رؤية العالم قطب الرحى في أطروحته النقدية. سيتم الوقوف عند قضايا البنيوية التكوينية ومرتكزاتها في الفصل الثاني من الموسم الدراسي من خلال مادة النقد البنيوي التكويني.

---

1 -المرجع السابق، ص: 35.

2-8-ميخائيل باختين وبيير زيما وسوسيولوجيا النص:

أسهم كل من **ميخائيل باختين** Mikhaïl Bakhtine (1895-1975) **وبيير زيما Pierre Zima** في إغناء الأبحاث النقدية المتعلقة بالنظرية الاجتماعية، من خلال بلورتهما تصورات أكثر نضج من سابقتها، بوصفهما أعادا النظر فيها، وعمّقا بعض مقولاتها، فأسسا بذلك مبحث سوسيولوجيا النص الروائي، مقتنعين بأن اللغة مشبّعة بحمولات إيديولوجية متعلقة بمجتمع من المجتمعات، فالقيم الايديولوجية تتضح عبر اللغة، كون "العلاقة المتينة بين اللغة والإيديولوجيا [تتحدد] انطلاقا من أن الوجود الاجتماعي، ينجز أشكالا مختلفة للوعي، ويخضع في أساسه إلى طبيعة الوجود الفعلي للأفراد بوضعياتهم الاقتصادية والاجتماعية"[1]. بهذا المعنى فقد اهتما **باختين وزيما** باللغة بوصفها تسهم بشكل عميق في تشخيص الواقع الاجتماعي، وتكشف عن مختلف الايديولوجيات، ولعل أهم مقولة طرحها **باختين** في مشروعه النقدي المتعلق بسوسيولوجيا النص الروائي، مقولة الحوارية إذ يرى بأن جمالية النص الروائي تكمن في حواريته، كون الحوارية تعكس تعددية الايديولوجيات داخل المجتمع الواحد، وتنحى منحى تعددية الأصوات والأساليب.

وهكذا ننتهي إلى أن الفكر النقدي الاجتماعي في الدراسات الأدبية، قد مر بمحطات متباينة الخلفيات والشروط الحضارية، أسهمت بشكل جلي في تشكيل أدواته وتعدد المداخل إلى النص الأدبي من الوجهة الاجتماعية، إذ تأسس منذ الشعرية اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث طرحت نظرية المحاكاة، وانتهى بسوسيولوجيا النص الروائي، التي راهنت على اللغة المتشبعة بالمحمولات الايديولوجية، مرورا بأطروحة العلاقة الوظيفة، والعلاقة التناظرية، والخصوصية الفردية للمبدع، ونظرية الانعكاس، فهذه الأطاريح مجتمعة قد أهتمت بسوسيولوجيا المضامين، وأهملت القيم الجمالية للنص الإبداعي، لتهتم بها البينوية التكوينية فيما بعد، علاوة على سوسيولوجيا النص.

---

1 -عيلان، عمر: مناهج تحليل الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، ص: 270.

المراجع:

1) الجرطي، أحمد: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق–بيروت، ط1، 2014.

2) خرماش، محمد: النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب، الملتقى الدولي الثاني النقد السوسيولوجي حول الخطاب الأدبي المعاصر، منشورات المركز الجامعي خنشلة،2007، ص: 68.

3) عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي قراءة في حقيقة العلاقة وسيرورتها الملتقى الدولي الثاني النقد السوسيولوجي حول الخطاب النقدي الأدبي المعاصر، المركز الجامعي عباس لغرور، خنشلة، 2007.

4) عيلان، عمر: مناهج تحليل الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008.

5) الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية.

المحاضرة الثانية: العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة

- تمهيد.

1- جون باتيست فيكو: النشأة والاقتناعات الفكرية.

2- معالم التصور النقدي عند جون باتيست فيكو.

- تمهيد:

شهد عصر النهضة – الذي كان منطلقه دولة إيطاليا، لينتقل بعد ذلك إلى باقي المجتمعات الأوروبية– تحولات فكرية، وثقافية، وسياسية، واجتماعية، ترتبت عنها تغيرات في طرائق التعامل مع الظواهر الطبيعية، والعلمية، وطبيعة تفسير كينوناتها، والمعايير التي ينتجها الفكر الإنساني، لتواكب تغيرات المجتمع وتستجيب للمعطيات الاجتماعية والتاريخية، والفكرية والسياسية، واللافت للنظر أن النزعة العلمية هي التي كانت تهيمن على الفكر الإنساني في القرن الثامن عشر، هذه النزعة التي شدّدت على العقل، وأعدته المرجع الوحيد للوصول إلى المعرفة والحقائق.

وفي ضوء هذه المعطيات فقد سعى بعض المفكرين والمؤرخين إلى البحث عن الشروط الاجتماعية، التي أسهمت في الإنتاجات الفنية، وإن كانت هذه المسألة قديمة الطرح، فإن من أولى المحاولات التي سعت إلى معالجة العلاقة بين الإنتاج الأدبي والنسق الاجتماعي في القرن الثامن عشر تعود إلى المفكر **جون باتيست فيكو**، الذي حاول بلورة نظرية تؤطر العلاقة بين الأدب والمجتمع. وفي هذا الإطار سنسلط الضوء على معالم نظريته، والتعرف على المقومات التي استند عليها، وعلى إسهاماته في تطوير التصورات الفلسفية والنقدية التي كرّست جهودها لتفسير العلاقة بين الأدب والمجتمع.

1- جون باتيست فيكو: النشأة والاقتناعات الفكرية:

جون باتيست فيكو Jean Batiste Vico (1668-1744) فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماع ايطالي، أعدّه ناقدوه رائد الأنثروبولوجيا الثقافية أو الإثنولوجيا، اهتم في سياق أبحاثه عن مسألة التناظر بين الأنواع الأدبية وتحولات المجتمع، وتفاعل الإنسان مع تغيرات أنساق المجتمع، إذ استند في تأسيس أطروحته على انتقاده توسع وتطور العقلانية مدافعا في الآن

ذاته عن العصور الكلاسيكية القديمة[1]. أي آمن بالفكر الإغريقي، و"بذل قصارى جهوده لإثبات أن النزعة العقلية التجددية الغربية منبثقة من الأنموذج الأفلاطوني المتمثل بشخصية كراتيلوس Cratylus [وكراتيلوس فيلسوف آثيني في القرن 5.ق.م] أكد على كون اللغة أمرا طبيعيا قبل أن تكون متفقا عليها، وفي هذا السياق تتبع فيكو] جذور الكلمات الإيطالية، كي يثبت أن النزعة العقلية التي شاعت في الأواسط الفكرية الايطالية، تضرب بجذورها في مدرسة فيثاغورس الفكرية"[2].

صنّف **فيكو** تطور المجتمعات البشرية إلى ثلاثة عصور، يُعرف العصر الأول بعصر الآلهة؛ إذ يحكم الإنسان الخوف من ماهو فوف طبيعي، أما العصر الثاني فهو عصر الأبطال، الذي يميزه تقسيم المجتمع إلى طبقتين إثنتين طبقة الأرستقراطيين، وطبقة العامة. أما العصر الثالث بوصفه مرحلة من مراحل تطور المجتمع البشري، فيوصف بعصر الرجال الناتج عن الصراع الطبقي[3].

وقد انعكس المناخ الفكري آنذاك على التفكير الفلسفي والنقدي عند **فيكو**، في كتابه "مبادئ العلم الجديد" الصادر سنة 1725، "حيث أشار إلى دور الإنسان في خلق عالمه الاجتماعي، وعلاقاته، ومؤسساته، ومن ثم فنونه الإبداعية، وضرورة تحليل التفاعلات الإنسانية المجسدة في الواقع عبر التنظيمات الاجتماعية أو البنى الفكرية والذهنية أو الإبداعات الفنية والأدبية بمصطلح علمي، وليس بمصطلح لاهوتي"[4]. وبهذا المعنى فقد اهتم **فيكو** بإسهامات الإنسان في تغيير النظم الاجتماعية، ومدى تفاعله معها، وانسجامه مع خصوصيات المجتمع في مرحلة من مراحل تطوره عبر إنتاجاته الفنية، والفكرية والأدبية.

1–ينظر الأتوم أمال: فلسفة الفيلسوف فيكو وتأثيره في النقد العالمي Https: e3arabi.com 2021/10/5، الساعة: 14:30.

2–صانع نور، مريم: ميثولوجيا الحداثة، الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب، تر: أسعد هندي الكعبي، المركز الثقافي في الدراسات الاستراتيجية، ط1، 2018، ص: 135.

3–ينظر الأتوم أمال: فلسفة الفيلسوف فيكو وتأثيره في النقد العالمي.

4–عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 14.

2- معالم التصور النقدي عند جون باتيست فيكو:

شيّد **فيكو** رؤيته المتعلقة بالعلاقة القائمة بين الأدب والواقع الاجتماعي على أطروحة المرحلة الحضارية والعلاقة التناظرية، إذ إنه اهتم بطبيعة الأشكال الأدبية، وعلاقتها بالمرحلة الحضارية، إيمانا منه بأن "لكل حضارة دورة حياة كاملة"[1] تُعرف بالدورة الحضارية، ونقصد بها "تلك الأطوار والمراحل التي تمر بها حضارة أو مجتمع (أمة) أثناء حركته، حيث تبدأ بالنشوء والميلاد، ثم تنتقل إلى الازدهار والنهضة، وأخيرا لتعرف التدهور والسقوط لتعيد كرتها من جديد"[2]. فبهذا المعنى تتراوح الحضارة الإنسانية بين الدينامية والنكوص، تتحكم فيها التحولات التاريخية التي تشهدها مختلف المجتمعات، إذ تخضع كل مرحلة تاريخية للجوانب الفكرية، والسياسية، وصراعات إيديولوجية، وما ترتب عنه من سلوكيات تنعكس وطبيعة النتاجات الإنسانية الفنية والأدبية في كل مرحلة من مراحل الدورة الحضارية.

يقودنا هذا الطرح إلى التأكيد على أن **جون باتيست فيكو** كان يهدف إلى معرفة تأثير المرحلة في النتاجات الأدبية وأشكالها، وطبيعة متونها وأجناسها، كما كان يرمي إلى الكشف عن علاقة المرحلة الحضارية ومختلف الأعمال الأدبية والفنية. وتأسيسا على هذا تجده قد ربط بين "الأنواع الأدبية والواقع الاجتماعي، حيث يرى أن كل نوع إنما يجسد مرحلة اجتماعية يسود فيها ذوق ما، يعلي من شأن هذا النوع دون الآخر؛ نظر إلى وجود تنافذ بين النوع والواقع تأثرا وتأثيرا، ما جعل "فيكو" يربط بين الملاحم، والمجتمعات العشائرية، وفن الدراما، وظهور المدينة/الدولة، وفن الرواية، والمطبعة وانتشار التعليم، وقد رأى فيها بعض الدارسين العرب تطوير الفكر الخلدوني"[3]

1-ماضي، شكري عزيز: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، 2013، ص: 132.

2-بروال جمال: نظرية الحضارة عند اسوالد اشبنجلر، مقاربة تحليلية في دورة الحضارة Https://jilrc.com. بتاريخ: 2021/05/07، الساعة: 12:52.

3-الموسى أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية، ص: 342.

يمكننا إذن القول إن منظور **جون باتيست فيكو** المتعلق بالعلاقة بين الأعمال الأدبية والمجتمع، قائم على أساس أن خصوصيات المرحلة الحضارية هي التي تتحكم في طبيعة النتاجات الأدبية، هذه الأخيرة تستجيب لمتطلبات المرحلة، وتخضع لشروطها، إن الأعمال الأدبية من هذا المنظور نشاط إنساني يعكس صورة المجتمع بكل أبعاده، فالأجناس الأدبية مرتبطة بطبيعة المجتمع، لذلك تجده قد ربط الملاحم بالمجتمع العشائري، وفسر ظهور الدراما بظهور المدينة–الدولة وارتبطت الرواية بانتشار التعليم وظهور المطبعة.

وهكذا فأطروحة **فيكو** "تفسر الانتاج الأدبي تفسيرا ماديا، يركز على علاقة التواشيح بينه وبين المجتمع، منتهيا إلى خلاصة أساسية، تؤكد على أن المجتمع لا يقدم ببساطة مسرحيات وأشعارا وروايات، لكنه ينمي أدبا وأدباء، يستخلصون أعمالهم ومهاراتهم الفنية ونظرياتهم منه"[1]. وتأسيسا على هذا تقوم أطروحة **فيكو** النقدية على "العلاقة التناظرية بين الأشكال الأدبية والمراحل الحضارية، فلكل مرحلة من مراحل التطور البشري، شكل أدبي يستجيب فنيا للنزعات والسلوكيات الجمالية التي تتبناها المجموعة الاجتماعية"[2]

إن تصور **فيكو** المتعلق بمسألة التناظر بين الأشكال الأدبية والواقع الاجتماعي تأسس وفقا للمحور الكرونولوجي، إذ إن لكل مرحلة حضارية من مراحل تطور المجتمع، شكل أدبي يعكس خصوصيات المرحلة الثقافية والاجتماعية والجمالية، ويستوعب قضايا الإنسان آنذاك، ويعبر عبر تيمات الشكل الأدبي عن مظاهر الحياة الاجتماعية.

وهكذا يتبين لنا أن **جون باتيست فيكو** قد شيّد رؤيته النقدية، بحثا عن التواشيح بين الأنواع الأدبية، والواقع الاجتماعي على عامل الزمان، وهنا تجدر الإشارة إلى أن معالم النقد الاجتماعي عند فيكو يتجلى عبر أطروحة المرحلة الحضارية والعلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة.

1–دياب أحمد حافظ: النقد الأدبي وعلم الاجتماع، مجلة فصول، نقلا عن الأدبي والاجتماعي، عيلان عمر، ص: 15.

2–عيلان عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 15.

المراجع:

1) بروال جمال: نظرية الحضارة عند اسوالد اشبنجلر، مقاربة تحليلية في دورة الحضارة Https://jilrc.com. بتاريخ: 2021/05/07، الساعة: 12:52.

2) عيلان، عمر: عن الأدبي والاجتماعي.

3) صانع نور، مريم: ميثولوجيا الحداثة، الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب، تر: أسعد هندي الكعبي، المركز الثقافي في الدراسات الإستراتيجية، ط1، 2018.

4) ماضي، شكري عزيز: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، 2013.

5) الموسى أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية.

6) الأتوم أمال: فلسفة الفيلسوف فيكو وتأثيره في النقد العالمي Https: e3arabi.com 2021/10/5، الساعة: 14:30.

المحاضرة الثالثة: مدام دي ستايل

- تمهيد.

1- مدام دوستايل: النشأة والخلفيات المعرفية.

2- معالم التصور النقدي عند مدام دوستايل.

3- تصور مدام دوستايل للنص الأدبي وللنقد الاجتماعي.

- تمهيد:

أسهمت الناقدة **مدام دوستايل** مطلع القرن التاسع عشر في تطوير الدراسات النقدية التي اهتمت آنذاك بمسألة اجتماعية الأدب، وكرّست جهدها بحثا عن العلاقة بين النتاجات الأدبية والأنساق الاجتماعية، سعيا إلى بلورة تصور أنضج عن ما سبقه من التصورات التي تؤطر هذه العلاقة، وتعميقا لها في الآن ذاته. أجمع نقادها أنها قد عمّقت تصور **جون باتيست فيكو** القائم على أساس أطروحة المرحلة الحضارية، وعملت على تجاوز مقولة الزمان، عبر إثارتها سؤال جوهري، وفقه شيّدت رؤيتها النقدية، يتمحور حول مدى تأثير الدين والعادات والتقاليد كمظاهر مجتمعية في الأدب بوصفه نتاجا يعكس قضايا المجتمع جماليا، إذ إنها سعت في هذا النطاق للوقوف على أهم الأسباب التي أسهمت في تغيير النصوص الأدبية شكلا ومضمونا، وصياغة نمذجة متعلقة بدراسة الأدب من الوجهة الاجتماعية.

1- مدام دوستايل: النشأة والخلفيات المعرفية

مدام دوستايل Mme de Staël (1766-1817)، اسمها الحقيقي **آن لويس جيرمان نيكر**، هي ناقدة، وروائية فرنسية، تزوجت من السفير السويدي بفرنسا **البارون ستايل**، تعد من الأوائل ممن طبقوا نظرية التقدم في الأدب، مقتنعة بأن الأدب هو امتداد للمجتمع، ولذا يجب أن يعكس التغيير الاجتماعي، كما اهتمت أيضا بحقل الأدب المقارن من خلال دراستها الأدب القومي بحثا عن تأثير الثقافة في تكوين هوية الشعوب. وقد تم نفيها عديد المرات من طرف نابليون بونابرت نظرا لمعارضته أفكارها السياسية القائمة على الدعوة إلى الحرية والعدل والمساواة، التي يجب على الأدب أن يصورها[1]. وقد امتاحت هذه الأفكار وفكرة "التأثير المتبادل بين التاريخ والأدب، وهو تصور موروث مباشرة عن فلسفة مفكري القرن 18 مثل كوندياك كوندورسي..."[2]. وبهذا المعنى فقد تأثرت بفلسفة عصر الأنوار القائمة على أساس تجديد وتغيير كل شيء، والإعلاء من شأن العقل والإنسان، فاهتمت بالتاريخ وما يتضمنه من عادات، ومعتقدات، وتشريع، وعلم، وفلسفة، وفن،... متأثرة بأطروحة التقدم أو تقدم العقل البشري للفيلسوف **كوندورسيه**[3]. إلى جانب تشبعها بالفلسفة المادية الجدلية الهيغلية كونها تنظر إلى الأدب كامتداد للمجتمع. نشرت كتاب "الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية" سنة 1800، وكتاب "عن ألمانيا" سنة 1810 و"عشر سنوات في المنفى" سنة 1818. وروايتي "دلفين" سنة 1802 و "كورين" سنة 1807.

1-ينظر: ستايل، مدام دي-موسوعة نت Https://aleengclopedia.net

2-روجي، جيروم: النقد الأدبي، تر: شكير نصرالدين، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2016، ص ص: 66-67.

3-ينظر: منصور حسين: التاريخ وفكرة التقدم عند فولتير وكوندورسيه Https://cowia.com 16/05/ 2021، الساعة: 12:00.

2- معالم التصور النقدي عند مدام دوستايل:

يتحدد إسهام الناقدة **مدام دوستايل** في تطوير النقد الاجتماعي من خلال طرحها إشكالية العلاقة بين الأدب والمجتمع، من زاوية مغايرة عن طرح **جون باتيست فيكو**. إذ انطلقت في البحث عن التأثير المتبادل بين الدين والعادات والتقاليد والقوانين وبين الأدب من خلال كتابها "الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية"، وهي تتغيا في ذلك بلورة تصور نقدي مطلع القرن التاسع عشر يؤطر هذا التأثير. إن الإضافة التي سجلتها في إطار النقد السوسيولوجي تكمن في كونها "نقلت الاهتمام بالدراسة النقدية للأدب إلى مجال يجعلها في مستوى الظواهر التي يمكن دراسة أسبابها ونتائجها، [من جهة، ومن جهة أخرى أدخلت] عنصر الهوية الشخصية للمجتمع،... فبعدما كان عنصر المرحلة الحضارية هو المحور الأساسي الذي تحدد في سياقه الأشكال الأدبية -عند **فيكو**- أصبح لخصوصية البيئة الاجتماعية دورها في خلق جماليات خاصة بكل مجتمع داخل نفس المرحلة الحضارية"[1].

وبهذا المعنى فقد اعتمدت **مدام دوستايل** على تاريخ الفئة الاجتماعية أو المجتمع في مرحلة محددة، بحثا عن كيفية تأثير العادات، والتقاليد، والقيم والقوانين والمعتقدات على سلوكيات الفرد، وتأثيرها أيضا على طريقة تفكيره، وعلى طبيعة نتاجاته الإبداعية عموما والأدبية حصرا، على الصعيد الشكلي والتيمي، مؤمنة في هذا النطاق بفكرة مؤداها أن لكل فئة اجتماعية داخل المجتمع ثقافة خاصة بها، تتحكم في نمط سلوكها وفي طريقة تفكيرها. فقد استثارت في هذا السياق سؤالا يتحدد في: مامدى تأثير الفروقات الجوهرية بين فردين في مجتمعين مختلفين في المرحلة الحضارية ذاتها؟

1-عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 16.

فقد أثارت هذا السؤال للبحث عن انعكاس النظم الاجتماعية التي توجه سلوك الإنسان في نتاجاته الأدبية داخل بيئات مختلفة، فركزت بذلك على العامل البيئي أو الجغرافي بدل العامل الزمني الذي اعتمده فيكو. "فبعدما كان عنصر الزمن هو المتغيّر لدى سلفيها، ثبتت عامل الزمن، وغيّرت العامل الاجتماعي، فأضافت عاملا جديدا له أثره في صياغة السلوكات الجمالية هو الشخصية الاجتماعية، أو بمعنى آخر البيئة الثقافية للمجتمع."[1]

وقد استطاعت **مدام دوستايل** انطلاقا من العامل الايكولوجي وبناء الشخصية الاجتماعية أن تقارن بين الخصوصية النوعية للأعمال الأدبية، التي ينتجها المبدع الفرنسي وبين الأعمال الأدبية التي ينتجها المبدع الألماني، كونه يعيش في بيئة مختلفة ثقافيا عن البيئة الفرنسية، وقد ساعدها في ذلك رحلتها إلى ألمانيا، لتؤكد على مدى تأثير البيئة التي تؤثر بدورها على سلوكات وتفكير الفرد على الأعمال الأدبية حيث كان "الأدب الفرنسي في الفترة التي كتبتها "دوستايل" يركزّ بدرجة أساسية على عناصر الأسلبة الشكلية تمعن في اختيار الصياغات الأسلوبية الجميلة والرشيقة، دون اهتمام كبير في الخوض في الأطروحات الفلسفية التجريدية، على عكس ما تميّز به الأدب الألماني، الذي شغلته بصورة مركزية المضامين الفكرية التي تستجيب لميول الشخصية الألمانية المجندة للقضايا الفلسفية، وحركات العقل الإنساني وشطحاته. وهذا التحليل يثمن انعكاس الفروق الشخصية الاجتماعية في الأدب، وهكذا تكون "دوستايل" قد أضافت عنصرا ثانيا لسابقيها، هو عنصر البيئة الاجتماعية التي تحدد بصورة قاطعة حقيقية كل إنتاج أدبي، سواء في مضامينه أو أشكاله".[2]

1–المرجع نفسه، ص: 17.

2–المرجع السابق، ص: 17.

ويلمس الباحث المتتبع للتصور النظري الذي اقترحته **دوستايل** منحاها التصنيفي من خلال المقارنة بين تأثير الثقافة الفرنسية والألمانية على الشخصية الاجتماعية داخل كل مجتمع على حدة، هذا التأثير الذي تنعكس نتائجه على الأعمال الأدبية، فخصوصية الكتابة الفرنسية التي تعنى بالصياغة مختلفة عن خصوصية الكتابة الألمانية التي تعنى بالقضايا الفلسفية الفكرية، أي اهتمامها بالمضامين. فهذا الاختلاف أحدثه الفضاء الايكولوجي المختلف بين المجتمعين. وهكذا تثبّت **مدام دوستايل** المرحلة الحضارية التي كانت العامل المتغير عند فيكو، وتغير البيئة الثقافية التي يتحدد وفقها سلوكات الفئة الاجتماعية، ونمط تفكيرها، المنعكس على طبيعة الأعمال الأدبية، في كتابها "عن ألمانيا" لتنتهي إلى أن عامل البيئة الاجتماعية له الدور الحاسم في صياغة الأعمال الأدبية وفي تحديد مضامينها وأنها تسهم في إحداث التغيير. وبهذا تضيف عنصر البيئة إلى جانب عنصر الزمان، بوصفهما عاملين يفسران علاقة الأدب بالمجتمع وفقا لتصوري **فيكو ومدام دوستايل**.

3- تصور مدام دوستايل للنص الأدبي وللنقد الاجتماعي:

وإن تشبع **مدام دوستايل** بالفلسفة المادية الجدلية، وإيمانها بفكرة امتداد الأدب للمجتمع، واقتناعها العميق بتأثير النظم الاجتماعية في النتاجات الأدبية داخل بيئات مختلفة، وتأكيدها بأن العامل البيئي يحدث تغيرا في أشكال ومضامين الأعمال الأدبية، وعلى هذا الأساس فقد انطلقت دوستايل في سياق تحديدها سؤال ماهية الأدب، من فكرة أن الأدب "إنتاج إبداعي منفعل إلى أبعد الحدود بالبيئة [التي] تشكل في سياقها"[1].

من هذا المنظور يتضح لنا أن تصورها للأدب مرتهن بالتأثير العميق لخصوصية البيئة الاجتماعية، من قيم، وعادات، وتقاليد، ودين، على صياغة الأشكال الأدبية وعلى مضامينها، إذ إن الأدب يمتاح قضاياه وتيماته من معين الواقع الاجتماعي، ولذلك فهي

1-المرجع السابق: ص: 16.

تؤسس نظرتها للأدب، بناء على مدى تأثير المجتمع في تكوين وتوليد نصوص إبداعية، إيمانا منها بأن الأدب مؤسسة اجتماعية، إذ إن عد الأدب "مؤسسة معناه النظر إليه كنظام متشابك من العلاقات داخل المنظومة الاجتماعية جملة، وقد رأى فيها "رونيه ويليك" مؤسسة اجتماعية، أداتها اللغة، تمثل الحياة في أبعادها المختلفة، ابتداء من: كون المؤلف فردا مسكونا بهموم واقعه، يجسده من خلال إبداع يروم أذنا صاغية، تقاسمه الأحاسيس والمشاعر، والأحلام، فيمازج بين الذاتي والجماعي من خلال فعل الكتابة".[1]

واستنادا إلى هذا المفهوم المتعلق بالنتاجات الأدبية، فقد ضبطت الناقدة حدود النقد الاجتماعي قائلة إن "النقد الاجتماعي الحقيقي لا يمكنه التحول إلى شرطي للأدب ("لمن تكتبون؟") وإنما إلى نظرية في خصوصية الكتابة يسوغها التحليل التاريخي والاجتماعي لعناصرها، لأهدافها، لدوافعها، ولنتائجها"[2]. فهذا الطرح يؤشر على معالم النقد الاجتماعي عندها بوصفه يقارب النصوص الأدبية وفقا لمكوناتها، وغاياتها وعوامل تكوينها على ذلك النحو، ونتائجها.

وهكذا يمكننا القول إن النقد الاجتماعي قد تعمّق مطلع القرن التاسع عشر، نتيجة لأطروحة مدام دوستايل المتعلقة بالبيئة الثقافية، والشخصية الاجتماعية التي تتحكم في العلاقة بين النتاجات الأدبية، والأنساق الاجتماعية، إضافة إلى عامل الزمان الذي أسس وفقه فيكو تصوره النقدي، وبهذا فقد أسهمت في تطوير مسار النقد الاجتماعي في النظرية النقدية السوسيولوجية.

1-الموسى أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، ص: 344.

2-بيير باربيريس وآخرون: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص: 178.

المراجع:

1) بيير باربيريس وآخرون: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.

2) روجي، جيروم: النقد الأدبي، تر: شكير نصرالدين، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2016.

3) عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي.

4) الموسى أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي.

5) ستايل، مدام دي–موسوعة نت Https://aleengclopedia.net

6) منصور حسين: التاريخ وفكرة التقدم عند فولتير وكوندورسيه Https://cowia.com 05/16/ 2021، الساعة: 12:00.

المحاضرة الرابعة: ثلاثية تين (البيئة، العرق، الجنس)

- تمهيد.

1- هيبوليت تين: حياته وخلفياته المعرفية.

2- هيبوليت تين وسؤال الفهم العلمي للظاهرة الأدبية.

3- هيبوليت تين: النص الأدبي والمنهج.

4- مآخذ التصور النقدي لهيبوليت تين.

- تمهيد:

شهدت الحركة الفلسفية والنقدية في القرن التاسع عشر في أوروبا، تحولا معرفيا-كما أجمعت جل الدراسات- متعلقا بمفاهيم عدة منها: الواقع، التاريخ، الوهم، الأدب في علاقته بالواقع والتاريخ، علاقة العلوم ببعضها، النزعة العلمية، وغيرها من المفاهيم التي أثثت التصورات الفكرية والرؤى النقدية السائدة آنذاك. ومن دون شك أن مفهوم التاريخ، وإسهامه في الوصول إلى حقيقة الأشياء، وبلورة أطاريح تؤطر الوجود وتفسر الموجودات، كان أهم مفهوم شغل الفكر الإنساني في تلك المرحلة الحضارية، وعلى هذا الأساس تم "رد الاعتبار للتاريخ الوطني وللمؤرخ بحكم أنه قادر على صياغة تصور شامل للمرحلة الحضارية التي تمر بها أمة من الأمم، هو ما جعل كتابة التاريخ تتجه نحو إبراز الخصائص البيئية ومميزات الإنسان الذي يعيش فيها، وكذا انتاجاته الفكرية والإبداعية"[1].

وإن الحديث عن تلك التحولات يقتضي بنا الإشارة إلى الفلسفة الوضعية التي كانت تؤطر كل المعارف العلمية وإنتاجات العلوم الإنسانية، وتتأسس على مبدإ التجربة والملاحظة، والاستعانة بالمخططات والرسومات الهندسية، لتفسير الظواهر العلمية والإنسانية، وهكذا هيمنت "النزعة العلمية المهتمة بالتفاصيل وتحليل الظواهر، وبدأت تغزو أفكار الناس وخاصة في مجال العلوم البحتة، وتسرب هذا الحس الجديد إلى مجال العلوم الإنسانية"[2].

وتأسيسا على هذا تغيّرت طرائق التعامل مع النصوص الإبداعية، بوصفها إنتاجات إنسانية كوّنتها أسباب محددة، وأصبح التعامل معها بالطريقة ذاتها التي يُتعامل بها مع الظواهر العلمية، فالنقد الأدبي في القرن التاسع عشر، قد استلهم منهجية التعامل مع

1-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو-برانت، فاس، ط2، 2012، ص: 43.

2-المرجع السابق، ص: 46.

الظواهر الإبداعية من الفلسفية الوضعية **لأغوست كونت**، وامتاح منها بعض مفاهيمها، وأصبح النقد الأدبي مع "إسهامات سانت بوف Sante-Beuve (1804-1969) يهتم أكثر بالعلاقات، فالأمر لم يعد متعلقا بالحكم أكثر مما هو متعلق بفهم العلاقات: علاقات النتاج الأدبي بالإنسان، وعلاقته بالنتاجات الأدبية السابقة والعتيقة، وطنية كانت أو خارجية، هكذا أصبح النقد هو دراسة العلاقات، وهذا مسار لا نهائي الخصوبة ومنه ستنبثق منهجية هيبوليت تين Hyppolyte Taine (1828-1893) ومجموع التاريخ الأدبي المعاصر"[1] .

هناك ملاحظة يجب الإشارة إليها مفادها أن محاضرتنا هذه الموسومة بـ "ثلاثية **تين** (البيئة، العرق، الجنس)"، ويبدو أن هناك خطأ مطبعي وقع في العنوان في محتوى المادة، فبدل الجنس تكون مقولة، الزمان، أو اللحظة التاريخية، وسنكتشف هذا خلال هذه المحاضرة التي نتغيا عبرها معرفة الناقد **هيبوليت تين**، والكشف عن خلفياته المعرفية، وضبط تصوره للأدب، وكيفية تعامله مع النصوص الأدبية، وإضافاته في حقل النقد الأدبي عموما، والنقد الاجتماعي حصرا.

1- هيبوليت تين: حياته وخلفياته المعرفية:

هيبوليت تين Hyppolyte Taine (1828-1893) فيلسوف وناقد فرنسي، له كبير الأثر في تطوير النظرية النقدية والأدبية في القرن التاسع عشر، تعد جهوده الارهاصات الأولى للنقد التاريخي، وقد تأثر بمنهج دراسة الظواهر العلمية، و"كانت ثقافة تين العلمية أيضا موجها مباشرا لاختيار منهج وضعي Methode Positive في النقد الأدبي، فقد تابع دروسا علمية متباينة في جامعة السربون، منها دروس الفيزيولوجيا، وعلم

1-كارلوني وفيلو: النقد الأدبي، ترجمة: كيتي سالم، نقلا عن لحمداني، حميد، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 44.

النبات، وعلم الحيوان، كما تابع في مدرسة للطب مادة التشريح، وتلقى أخيرا معرفة معمقة في علم النفس"[1].

فقد أسهمت هذه المعارف في تكوين ثقافة الناقد الفلسفية وتوجيه مساره النقدي، في سياق يعج بالأفكار والمعارك الفكرية، فقد تأثر بالفلسفة الوضعية القائمة على أساس أنه "لا وجود إلا لمبدأ أساسي واحد مطلق، هو أنه ليس هناك ماهو مطلق أي كل شيء نسبي"[2]. له عديد الدراسات أهمها: "تاريخ النقد البريطاني" و"فلسفة الفن".

2- هيبوليت تين وسؤال الفهم العلمي للظاهرة الأدبية:

سعى **تين** ضمن مشروعه الفلسفي والنقدي إلى توسيع مدار الأبحاث العلمية التي اهتمت بعلاقة العمل الأدبي بالواقع الاجتماعي. كأبحاث **جان باتيست فيكو** المؤسسة على عامل الزمان، وأبحاث **مدام دوستايل** المرتهنة بعاملي الزمان، والمكان، واقتنع بضرورة تجاوز الدرس النقدي الانطباعي، وتجديده، وتحيينه وفقا لروح العصر، الذي هيمنت عليه النزعة العلمية. هذه الأخيرة التي استند عليها في النظر إلى العمل الأدبي، وفي تعامله معه، وقد ارتهن فكره النقدي بأطروحة السببية، والكشف عن الأسباب التي أسهمت في تكوين ذلك العمل الأدبي، وما حفزه لنهج هذا المسلك هو رفضه لطبيعة الرؤية النقدية التي كانت سائدة آنذاك، ونقده تصور بعض المؤرخين للتاريخ، من أمثال المؤرخ **ميشليه** الذي وصفه بالمؤرخ الشاعر، بناء على ما أورده الناقد **حميد لحمداني** في كتابه "الفكر النقدي الأدبي المعاصر"، وقد كان تين "يقصد من وراء ذلك خلو منهج ميشليه من كل حس علمي في نظرته للتاريخ"[3].

1-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 48.

2-المرجع نفسه، ص: 47.

3-المرجع نفسه، ص ص: 46-47.

على هذا الأساس جاهد وجهد لإخضاع الظاهرة الإبداعية لنقد علمي يقوم على أساس الملاحظة والتجربة، بوصف الظاهرة الإبداعية تشبه الكائن العضوي، ينمو، ويتطور، ويتغير، وهناك ظروف وأسباب أسعفته على ذلك. وبهذا المعنى فقد أسهم في صياغة رؤية نقدية جديدة، تتحدد في النقد العلمي كونه "شكلا مبكرا للنقد التاريخي...–قائما على– ثلاثيته العتيقة (العرق–البيئة–الزمان)، التي تجسد حتمية كون الإنسان نتاج الوراثة والبيئة، وتجسيدا طبيعيا تحت وطأة الفلسفة الدراونية (نسبة إلى داروين 1809–1882 صاحب نظرية التطور"[1] .

بهذا المعنى فقد ارتهن فهم النص الأدبي في تصوره بهذه الثلاثية، واللافت للنظر أنه عمّق تصورات **فيكو**، و**مدام دوستايل** من خلال إضافته عنصر العرق أو الجنس، ليستند عليه في تحليل النص الأدبي، ويكشف عبره الخصائص النفسية للأديب التي أسهمت في تشكيل النص، إذ "تبدو آثاره من خلال التبادل والتفاعل بين السمات الجسمية والنفسية والدوافع الغريزية والنزعات المكبوتة والدفينة، والتي تؤثر مباشرة على بناء وتشكيل الفعل الإنساني بكل مافيه من آمال وتصورات وطموحات، ومواقف ونظرة للحياة."[2] وبهذا المعنى فإن **هيبوليت تين** قدّم إضافة في مجال الدراسات الاجتماعية للأدب، من خلال تعزيزه ثنائية المكان والزمان التي تفسر حقيقة العلاقة التناظرية بين الظاهرة الأدبية والواقع الاجتماعي التي كانت سائدة من قبل، بطرحه طرفا ثالث (الجنس/العرق)، ليعيد بذلك تشكيل طبيعة هذه العلاقة من خلال ثلاثية وليست ثنائية، إيمانا منه بدور مكون العرق وتفاعله مع مكوني الزمان والمكان، وتأثير كل ذلك في إنتاج النصوص الإبداعية، وتحقيق العلاقة الجدلية بين الواقع والأدب، إذ لا يمكن أن نهمل مدى تأثير العوامل الوراثية والفطرية التي تمنح

1–وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر زمن اللانسونية إلى الألنسية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002، ص ص: 19–20.

2–عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، قراءة في حقيقة العلاقة والسيرورة، ص: 19.

خصوصية للمبدع، داخل أمته التي تميزه عن مبدع آخر ينتمي إلى أمة أخرى، فهذه الخصوصية تجعل أدب المبدعين مختلفين، نظرا لاختلاف خصوصية كل أمة على حدة.

وعلى هذا الأساس فالبيئة تؤثر في ذات المبدع، وتوجه مساره الايديولوجي، وهذه البيئة تخضع لتحولات وفقا لمعطيات المجتمع آنذاك. وعلى هذا أساس طرح **تين** مقولة العرق ليوسع من "أفق العلاقة التناظرية، ليؤكد على الخصوصية الفردية للمبدع بالنسبة لمبدعين آخرين، يعيش معهم نفس المرحلة الحضارية، ونفس الخصوصيات الثقافية، وبذلك تكون الحلقة قد التأمت، وتمت الإحاطة بمختلف المؤثرات الفاعلة اجتماعيا في عملية الإبداع."[1].

وهكذا فقد فسر **هيبوليت تين** طبيعة العلاقة بين النتاجات الأدبية والواقع الاجتماعي من خلال ثلاثية: العرق أو الجنس، البيئة أو المكان، والزمان أو اللحظة التاريخية، ويمكن ضبط حدود هذه المفاهيم على النحو الآتي:[2]

-"**العرق:** هو مجموعة استعدادات سيكولوجية فطرية وراثية تضاف بصفة عامة إلى ميزات تتأثر بالمزاج والبنية الجسمية.

-**البيئة:** هو مجموعة الظروف التي يخضع لها شعب، ولا يمكن فصلها عن الزمن، الذي هو فاعل مكتسب.

-**اللحظة التاريخية:** دفعة من الماضي إلى الحاضر، فهي نقطة يصل إليها شعب في صيرورته."

1-المرجع السابق، ص ص: 19-20.

2-cartomi J.cet.Fillouk: la critique littéraire.

نقلا عن عيلان عمر، الأدبي والاجتماعي، ص: 18.

يتضح من خلال هذه المعطيات أن ثلاثية **تين** تؤشر على مسلكه العلمي في فهم الظاهرة الإبداعية، إذ أثار سؤال التطبيق الذي امتاحه من العلوم البحتة، ليخضع النصوص الإبداعية لمنهج تحليل الظواهر العلمية التي تدرس في العلوم التجريبية، بحثا عن العلاقة بين الثلاثية والأعمال الأدبية.

3- هيبوليت تين: النص الأدبي والمنهج:

استمد **تين** تصوره للنص الأدبي من الفلسفة المادية الجدلية والفلسفة المثالية، ومن رفضه مسألة تقديس النصوص الكلاسيكية، ومن اقتناعه بضرورة إخضاع النص الأدبي إلى مناهج العلوم التجريبية، التي تحلل الظواهر الطبيعية، وتخضعها للتجربة، انسجاما مع هيمنة النزعة العلمية آنذاك، وإيمانه أيضا بالسببية نمطا في التفكير، وعلى هذا الأساس تحدد تصوره للنص الأدبي، بوصفه ظاهرة دينامية، أسهمت أسباب وعوامل تاريخية واجتماعية في تكونها، فالنصوص الأدبية "مثل الأنماط العضوية قابلة لأن تخضع للبحث في نموها وتطورها، والعلاقات القائمة بينها، وظروف وجودها، وعوامل ضعفها."[1].

وإن النزعة العلمية التي هيمنت على التفكير النقدي والفلسفي **لهيبوليت تين**، جعلته يشبه النص الأدبي بالأجهزة التكنولوجية التي تستخدم في المخابر العلمية، للبحث في حقيقة الظواهر الطبيعية، إذ يقول: في كتابه "مدخل إلى تاريخ الأدب الانجليزي": إن الأدب هو "الوثيقة الأفضل على نحو لا مثيل له، إنها تشبه تلك الأجهزة الرائعة، التي تمتاز بحاسية خارقة، والتي بواسطتها يميز علماء الفيزياء، ويقسمون التحولات الأشد حميمية والأكثر دقة في الجسم [...] إذن فمن خلال دراسة الآداب بالأساس نستطيع القيام بالتاريخ الأخلاقي والسير نحو معرفة القوانين السيكولوجية التي تحكم الأحداث."[2].

1-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ص: 48.

2-هـ. تين: مدخل إلى تاريخ الأدب الانجليزي، نقلا عن روجي حبيروو: النقد الأدبي، ترجمة: شكير نصر الدين، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص: 63

وبناء على هذا التصور للنص الأدبي، فقد قدم **تين** توصيفا لطبيعة المنهج الذي يتمثله لقراءة الأعمال الأدبية، فهو منهج ينظر إلى "الأعمال الإنسانية، وبخاصة الأعمال الفنية باعتبارها وقائع ومنتجات ينبغي وسم خصائصها، والبحث عن أسبابها، لا غير. وعند فهمه على هذا النحو، فإن العلم لا يوصي كما لا يغفر: إنه يلاحظ ويفسر."[1]. من هذا المنظور فقد تعامل **تين** مع النصوص الأدبية تعامل العالم مع الظواهر الطبيعية وفق منهج علمي يقوم على أساس البحث عن الأسباب، ويعتمد على آليتي الملاحظة والتفسير للوصول إلى حقيقة العلاقات بين ثلاثيته الشهيرة، وبين الظواهر الأدبية بوصفها وقائع تاريخية واجتماعية.

4- مآخذ التصور النقدي لهيبوليت تين:

رغم جهود **تين** الطريفة في تعميق الطروحات المعرفية التي تؤطر العلاقة بين الأدب والمجتمع، وإسهامه في إغناء علم اجتماع الأدب، إلاّ أن هناك ملاحظات سجلت حول منظوره النقدي. كهنات متعلقة بالثلاثية وعلاقتها بالأدب من جهة، وتفسيراته المقدمة والنزعة العلمية من جهة أخرى، فقد أشار الناقد المغربي **حميد لحمداني** في هذا النطاق في كتابه "الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف" الصادر سنة 2009، إلى أن **تين** لم يوضح الطريقة التي تُحدُث وفقها الصلة بين الأدب والعرق، والمكان والزمان، مما أثر سلبا على الفهم العلمي للظاهرة الأدبية، وقلل من الحس التاريخي فيها، كما أنه رغم نزعته العلمية في النظر إلى النصوص الإبداعية، إلاّ أنه يعمد إلى تفسير هذه العلاقة بقوى روحية ذات بعد سيكولوجي، وهو بذلك يبتعد عن صفة العلمية."[2].

1-هـ. تين: فلسفة الفن، نقلا عن روجي جيروم: النقد الأدبي، ص ص: 60-61.

2-ينظر: لحمداني حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ص ص: 50-51.

المراجع:

1) روجي حبيروو: النقد الأدبي، ترجمة: شكير نصر الدين، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2016.

2) عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، قراءة في حقيقة العلاقة والسيرورة.

3) لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو- برانت، فاس، ط2، 2012.

4) وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر زمن اللانسونية إلى الألنسية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002.

المحاضرة الخامسة: المنهج التاريخي لانسون

- تمهيد.

1- غوستاف لانسون: النشأة والمرجعيات الفلسفية.

2- إشكالية مصطلح التاريخي Historique/ التاريخاني Historicisme.

3- المنهج التاريخي عند غوستاف لانسون: المعالم وسؤال النزعة العلمية للتاريخ.

4- منظور غوستاف لانسون للنص الأدبي.

5- النقد التاريخي والنقد الاجتماعي: أية علاقة؟

- تمهيد:

لقد شغلت قضية حياة النصوص الأدبية وتاريخها رواد المنهج التاريخي في معالجتهم الأعمال الأدبية، نهاية القرن التاسع عشر، إذ كرّسوا جهودهم لبلورة نمذجة تؤطر الأعمال الأدبية، مستقلة عن نمذجات الحقول المعرفية الأخرى. وفي ضوء هيمنة الفلسفة الوضعية على التفكير النقدي آنذاك، سعى الناقد الفرنسي **غوستاف لانسون** إلى اقتراح تصور منهجي تقرأ في ضوئه الأعمال الأدبية، ويؤسس لتاريخها فآمن بضرورة الانتصار إلى العلم والاعتماد على الحقائق لتفسير الظواهر الأدبية، فدعا إلى ضرورة خلق تاريخ أدبي، كحقل معرفي يهتم بأصل النصوص، والوقوف على المعطيات التاريخية التي أسهمت في إنتاجها، والنظر إليها في طبيعتها الدياكرونية. وهو في ذلك مؤمن بارتباطها بالتاريخ في تطور أشكالها وتيماتها. والباحث المتتبع لتاريخ النظرية النقدية يلمس جهود **لانسون** في تعميق رؤى سابقيه في هذا الإطار، وطرحه المنهج التاريخي في صورته الناضجة، وهذا ما سنستشفه عبر هذه المحاضرة.

1- غوستاف لانسون: النشأة والخلفيات الفلسفسة

غوستاف لانسون Gustave Lanson(1857-1834): ناقد أدبي، ومؤرخ فرنسي، اهتم بالتاريخ الأدبي، وإليه يُعزى الفضل في تعميق المنهج التاريخي، وضبط معالمه وتحديد مراحله التحليلية، كان في سياق تشييد نظريته "مدققا في المسائل العلمية التي يعالجها، مؤرخا وعالما شديد الثقة في عمله، وكانت له مكانة مرموقة في مجال النشاط الأدبي في المراكز العلمية الفرنسية، كالمدرسة العليا وجامعة السربون"[1].

1-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، منهج ونظريات نقدية، مطبعة آنفو، براتن، ط2، 2012، ص: 52.

وقد أطّرت جهود **لانسون** النقدية في إطار بلورته المنهج التاريخي، خلفيات فلسفية ونقدية، كانت سائدة آنذاك، حددت مساره المنهجي، إذ استفاد من فلسفة عالم الاجتماع الفرنسي **إيميل دوركايم** Emil Durkheim (1858-1917) "فمنه أخذ مفهوم القانون الخاص للتاريخ، وطبقه في مجال الدراسات الأدبية، بمعنى أنه لابد أن يكون للأدب قانونه الخاص، مثلما أن للمجالات العلمية الأخرى قوانينها الخاصة بها،...(فضلا على تأثره بالنقد "الوضعي الألماني وخاصة بـ "وليام شيرير Wilhelm Scherer (1841-1886) في كتابه تاريخ الأدب الألماني 1883""[1]. وقد كان تأثره بهذا التوجه النقدي، مسايرة لمعطيات القرن التاسع عشر، ورغبة منه في تحديث معايير النقد الأدبي، ونقد المقاربة الدوغمائية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر.

وبالإضافة إلى إفادته من الطروحات الفلسفية السابقة الذكر، فقد أفاد أيضا من منظورات **سانت بيف، وهيبوليت تين** النقدية، المتعلقة بالنقد التاريخي، ناقدا ومعمقا لها في الآن ذاته. نشر عديد الدراسات أهمها[2]: "الوجيز البيوغرافي للأدب الفرنسي" 1909، "الرسائل الفلسفية لفولتير" "منهج التاريخ الأدبي" .1910

3-إشكالية مصطلح التاريخي Historique/ التاريخاني Historicisme:

تفرض قضية المصطلح نفسها في الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، وفي هذا الإطار يحسن الإشارة إلى إشكالية مصطلح التاريخي التي أثارها الناقد الجزائري **يوسف وغليسي** في كتابه "النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسونية" الصادر سنة 2002، فهذا المصطلح -حسبه- يشوبه اضطرابا مفهوميا وقصورا في التوصيف المنهجي، وقد يحيل أيضا على نقد التاريخ، نجده قد فرّق بينه وبين مصطلح التاريخاني Historicisme، الذي يقصد به "نزعة فلسفية تبحث في تفسير ظاهرة ما (خصوصا في

1-المرجع السابق، ص: 53.

2-ينظر المرجع نفسه، ص: 54.

العلوم الإنسانية) تبعا لموقعها في التاريخ. [أما مصطلح التاريخي فهو] ينتمي إلى التاريخ مؤكد من قبل التاريخ"[1].

وقد انتهى **وغليسي** بعد التمييز بين المصطلحين إلى أن المصطلح الأنسب في هذا السياق هو النقد التاريخاني critique historiciste، كون التاريخانية "تعني من وجهة أدبية دراسة لحركة أدبية باعتبارها وظيفة للتطور: الفني/ السياسي/ الاجتماعي/ الديني، أو في مجتمع ما"[2]. و اللافت للنظر أنه أقر باستعمال مصطلح النقد التاريخي رغم عدم اقتناعه المؤسس كرها، نظرا لشيوعه بين أهل الاختصاص على علته وقصوره المفهومي، والناظر في هذه المسألة يدرك بلا ريب الإشكالية التي يشهدها المصطلح في الخطاب النقدي العربي على الصعيد المفهومي، والترجمي والتوظيفي.

والنقد التاريخي من حيث الماهية، هو ذلك النقد الذي "يرمي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب؛ فهو يعنى بالفهم والتفهيم أكثر من عنايتهم بالحكم والمفاصلة، والنقاد الذين يجنحون إلى هذا النقد يؤمنون بأن كل تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه"[3]

4-المنهج التاريخي عند غوستاف لانسون: المعالم وسؤال النزعة العلمية للتاريخ:

سعى غوستاف لانسون في إطار بلورته النقد التاريخي إلى توسيع آفاق هذا النقد، فاهتم بتاريخ الأدب، وقد انطلق لتشييد رؤيته النقدية من عديد المعطيات تأتي رأسا إقتناعه التام بأن "تاريخ الأدب عند الأمم يساهم في تطوير الإنتاج الأدبي وفي توضيح المعايير

1-وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002، ص ص: 17-18.

2-علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، نقلا عن يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص: 18.

3-منذر، محمد: في الأدب والنقد، نقلا عن المرجع السابق، ص: 19.

الفنية والمفاهيم والمصطلحات النقدية."[1] لذلك تجده قد اهتم بالأدب الفرنسي من الوجهة التاريخية في كتابه "تاريخ الأدب الفرنسي".

وقد كانت رؤيته النقدية أيضا تتويجا لما طرحه الناقدان **سانت بوف Sainte Beuve** (1804-1869) **وهيبوليت تين** من رؤى نقدية متعلقة بالنقد التاريخي، إذ انتقدهما مؤكدا في هذا السياق بأن "سانت بوف كان رجل حدس في المقام الأول، وأنه اتجه من الأدب بواسطة عناصر حياة المؤلف، كما انتقد النزعة الانطباعية التذوقية لسانت بوف [أما **هيبوليت تين** فقد انتقده بناء على] النزعة العلمية التي نادى بها. ففي رأيه أن العلوم المختلفة ينبغي أن يستقل كل واحد منها بمنهجه الخاص، ولابد من أن تكون للدراسات الأدبية منهجيتها المتميزة عن العلوم البحتة، ولا يمكن أن نأخذ من العلم إلا روحه"[2]. وبهذا المعنى فقد آمن لانسون باستقلالية مناهج الدراسة الأدبية عن سائر العلوم المعرفية الأخرى، وعلى هذا الأساس سعى إلى تحقيق تلك الاستقلالية من خلال طرحه المنهج التاريخي.

ومن الأسئلة التي استثارها **لانسون**، والتي تعد من المنطلقات التي أسس وفقها تصوره للنقد التاريخي؛ هو رفضه القاطع "النقد العقائدي le critique Dogmatique، وله رأي خاص في مفهوم العقيدة، فهي قد تكون نفسية، أو أخلاقية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو دينية، والنقد يتحول إلى عقيدة من هذه العقائد مغلبا مبادئها على الحقائق الموضوعية المتصلة بالعمل المدروس، فإنه سيكون ضد المعرفة، وضد تطور القيم"[1]. وتأسيسا على هذه المنطلقات فقد آمن **لانسون** بأهمية المعطيات التاريخية، ودورها العميق في فهم النتاجات الأدبية، والوقوف على خصائصها النوعية، وبناء على هذا فقد حدّد في كتابه "منهج البحث في تاريخ الأدب" وظيفة النقد التاريخي وأهدافه المتوخاة، قائلا: "إن عملياتنا الأساسية

1-أقضاض، محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي،التأسيس،شركةالنشر والتوزيع المدارس،الدار البيضاء،ط1، 2007،ص:49

2-لحمداني، محمد:الفكر النقدي الأدبي المعاصر،ص:55

تتلخص في معرفة النصوص الأدبية، ومقارنتها ببعضها البعض، لنميز الفردي من الجماعي، والأصيل من التقليدي، وجمعها في أنواع ومدارس وحركات، ثم تحديد العلاقات بين هذه المجموعات، وبين الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية في بلادنا وخارج بلادنا بالنسبة لنمو الحضارات الأوروبية"[1]

بهذا المعنى فقد أفصح **لانسون** عن المراحل التحليلية للنقد التاريخي، وعن أهدافه المعرفية المتوخى تحقيقها عند استنطاق النصوص الإبداعية، فهو نقد مرتهن بالبحث عن العلاقات بين النص الأدبي، والمؤثرات التاريخية والفكرية، والاجتماعية، والنفسية، التي أسهمت في إنتاج النصوص الإبداعية وتطويرها، وعلاقتها بالواقع، وتصنيفها وفقا لتياراتها الفكرية التي تغذيها، وفي هذا السياق يجمل الناقد المغربي **حميد لحمداني** في كتابه "الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات نقدية" الخطوات التحليلية التي يقوم وفقها النقد التاريخي عند **لانسون** على النحو الآتي:[2]

1/التعرف إلى النصوص الأدبية، أي القيام بتحقيقها وتقويمها، وإدراك مضمونها (: المعنى الحرفي للنص).

2/المقارنة comparaison بين النصوص لتمييز الأصيل من التقليدي والفردي من الجماعي.

3/تصنيف: calassification هذه النصوص في أنواع، ومدارس، وحركات.

4/تحديد العلاقات بين هذه الأنواع، والمدارس والحركات والحياة العقلية (=الفكرية، الأخلاقية، الاجتماعية) سواء بالنسبة للداخل أم بالنسبة للخارج.

1-المرجع السابق، ص: 57.

2-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 57.

5-منظور غوستاف لانسون للنص الأدبي:

سعى **غوستاف لانسون** إلى العمل على راهنية مفاهيم الأدب، بناء على ما يتواءم والفكر الوضعي السائد آنذاك، وتفكيكا للتصورات التي كانت تقرأ في ضوئها النصوص الإبداعية أيضا، وقد عالج ماهية الأدب في إطار دراسته للأدب الفرنسي، إذ استمد تصوره للأدب من الفلسفة المادية الجدلية، ومن الفلسفة الوضعية، ومن إيمانه المطلق بالنزعة التاريخية، وبحس نقدي نظر إلى الأدب "في ديمومته وفي استمراره الحي"[1]. وهكذا فإن **لانسون** ينظر إلى الأدب في بعده الدياكروني، فهو بمثابة كائن حيّ، يخضع للمؤثرات التاريخية، وللمعطيات الاجتماعية ويتطور في شكله ومضمونه، إذ جعله مرتبطا بالصيرورة التاريخية. وبحس نقدي جعل الأدب مرتهنا بالصيرورة التاريخية، ويعكس الظواهر الاجتماعية عبر العصور.

وانطلاقا من بحثه في علاقة الأدب بالواقع، ذهب **لانسون** إلى أن الأدب "مرآة الجماعة..... يكمل الهيئة الاجتماعية، إذ يعبّر عن كل ما لم يمكن تحقيقه من حسرة، وقلق وآمال [للناس]"[2]. إن ما يلفت الانتباه من خلال تصوره للأدب، في هذا الصدد، هو توظيفه مصطلح المرآة، الذي امتاحه حسب الناقد **حميد لحمداني** في كتابه سابق الذكر من الشعرية اليونانية وبالتحديد نظرية أرسطو المتعلقة بالمحاكاة، إذ يعد "الشاعر مختلفا عن المؤرخ، من حيث إن الثاني يحكي فقط ماهو كائن، بينما يحكي الأول ما ينبغي أن يكون، [وفي هذا النطاق يؤكد الناقد لحمداني أن مفهوم المرآة مفهوم غير مرتبط] بمفهوم الانعكاس reflexion مادام يرى أن الأدب لا يعكس فقط ماهو كائن بل أيضا ما ينبغي أن يكون."[3]

1-كارلوني وفيلو: النقد الأدبي، نقلا عن حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 51.

2-لانسون، غوستاف: منهج البحث في تاريخ الأدب، نقلا عن المرجع نفسه، ص: 60.

3-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص ص: 59-60.

6-النقد التاريخي والنقد الاجتماعي: أية علاقة؟

لقد ترتب الحديث عن النقد التاريخي في سياق الحديث عن النقد الاجتماعي، طرح سؤال بإلحاح مؤداه: ما طبيعة العلاقة بين النقد الاجتماعي والنقد التاريخي؟ وقد أجابت عديد الدراسات عن هذا السؤال عبر اهتمامها بجذور المنهج الاجتماعي، وبتصوراته المؤسسة على مقولتي الزمان والمكان، بحكم الأدب يخضع لتحولاتهما، وعلى هذا الأساس فقد اتفق الدارسون على أن المنهج الاجتماعي قد انبثق في أحضان المنهج التاريخي، وفي هذا النطاق يؤكد الناقد الجزائري **يوسف وغليسي** في كتابه المذكور سلفا أن النقد التاريخي "يتداخل تداخلا كبيرا مع النقد الاجتماعي (حتى إن كثيرا من النقاد يتحدثون عنهما بوصفهما منهجا واحدا)، ولعل ذلك راجع إلى انحدار كليهما من أصول نظرية فلسفية واحدة هي "المادية الجدلية"، ولكن وجه التمايز بينهما يكمن في احتفاء الأول بالإطار التاريخي الشامل (الذي يتجاوز تفاصيل الطبقة والصراع الطبقي) للأثر الأدبي وصاحبه على السواء فيما يحتفي الثاني بالظاهرة الأدبية في صورتها المجتمعية."[1].

وهكذا ننتهي إلى التأكيد على أهمية الجهود التي اضطلع بها الناقد الفرنسي **غوستاف لانسون** في تعميق أطاريح سابقيه المتعلقة بالنقد التاريخي، ونتيجة لاقتناعه بأن النتاجات الأدبية، مرتبطة بالصيرورة التاريخية، وتحولات المجتمع بمختلف مظاهره، فقد أعلن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عن ميلاد مرحلة جديدة من النقد الأدبي، تواكب تغيرات المجتمع الفكرية والثقافية والاجتماعية والتاريخية، وتخلص الحركة النقدية السائدة آنذاك من دوغمائيتها. فبلور بذلك تصورا منهجيا تؤثثه مفاهيم إجرائية وتحكمه مراحل تحليله، وتحدد مساره، وأهدافه المعرفية.

1-وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص: 19.

المراجع:

1) وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002.

2) لحمداني حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، منهج ونظريات نقدية، مطبعة آنفو، برانت، ط2، 2012.

3) أقضاض، محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي، التأسيس،شركة النشر والتوزيع المدارس،الدار البيضاء،ط1، 2007.

المحاضرة السادسة: بليخانوف نظرية الانعكاس

تمهيد.

1-جوروج بليخاتوف: النشأة والخلفيات المعرفية.

2-نظرية الانعكاس: المفهوم وسؤال النشأة.

3-جوروج بليخانوف من سؤال نظرية الانعكاس إلى أطروحة المعادل السوسيولوجي.

تمهيد:

سعت الدراسات الأدبية التي تهتم بمرجعية الأدب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، إلى توسيع مدار أبحاث **هيبوليت تين، وغوستاف لانسون، وفلادمير لينين** وغيرها من الأبحاث المتعلقة بسوسيولوجيا الأدب، وتجاوزا لمآخذها في التعامل مع النص الأدبي في الآن ذاته، إذ ظهرت محاولات جادة تبحث في العلاقة الجدلية بين النتاجات الأدبية، وبين المجتمع الذي تتصارع فيه الطبقات الاجتماعية، المختلفة الايديولوجيات من جهة، والوقوف على الوظيفة الاجتماعية للأدب من جهة أخرى. وفي هذا السياق تتجلى أهمية أبحاث الناقد **جوروج بليخانوف**، الذي راهن على أطروحة المعادل السوسيولوجي عبر بلورته نظرية الانعكاس، بوصفها تصورا منهجيا، يعكس محطة من محطات تطور النقد الاجتماعي في صورته الجدلية، والذي كان نتيجة التغيرات السوسيوثقافية، والتاريخية التي شهدها العالم آنذاك، حيث كانت الفلسفة المادية الجدلية التي تسيطر على التفكير الفلسفي والنقدي.

1-جورج بليخانوف: النشأة والخلفيات المعرفية:

جورج بليخانوف George Plekhanov (1856-1918) فيلسوف وناقد روسي، ومناضل ثوري، أجمع نقاد الأدب على أنه من أبرز منظري النظرية الماركسية للأدب، اقتنع بالفلسفة الماركسية، واستلهم إواياتها، تحليلا وتطويرا لها، وطرح أفكاره عبر منجزاته الفكرية والنقدية، التي حظيت بالترجمة، إلى اللغة العربية من لدن الناقد والمفكر السوري **جورج طرابيشي**. لقد اهتم **جورج بليخانوف** ضمن مشروعه الفكري والنقدي بقضايا الفرد، المجتمع، التاريخ، الأدب، الواقع الاجتماعي، الايديولوجيا، المعادل السوسيولوجي، مهمة الناقد وغيرها من القضايا التي أثثت أطروحته الفكرية والنقدية، باحثا في ذلك عن الضوابط التي تؤطرها. ومن أهم أعماله نذكر: "تطور النظرة الواحدية في التاريخ" (1895)، "مقالات في تاريخ

المادية" 1896. "دور الفرد في التاريخ" 1898، محاضرات في فلسفة التاريخ" 1901، و "الفن والتصور المادي للتاريخ."[1] .

2-نظرية الانعكاس: المفهوم وسؤال النشأة

تقتضي الضرورة المنهجية الوقوف على ماهية نظرية الانعكاس، وإرهاصاتها في سياق الحديث عن إسهامات الناقد الروسي **جورج بليخانوف** في تطوير مسار النقد الاجتماعي، عبر طرحه وتعميقه لنظرية الانعكاس، بوصفها تصورا منهجيا، ومدخلا من مداخل قراءة النصوص الإبداعية، تبناه عصبة من النقاد الماركسيين رؤية وإجراء خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، إذ تشبع هؤلاء النقاد بالفكر الماركسي، وبالفلسفة المادية الجدلية وبالفلسفة الجدلية التاريخية، فاهتموا بمسألة المعطيات الاجتماعية، والقيم الفكرية، والصراعات الايديولوجية داخل النتاجات الأدبية، بمعنى التركيز على مدى حضور المجتمع بقضاياه حضورا مباشرا فيها.

ثمة عديد الدراسات التي أكدت بأن مصطلح الانعكاس قد امتاحه المنظرون والنقاد الماركسيون من مقولة المرآة، إذ إن "حقيقة الانعكاس، لا تكمن في المرآوية الجامدة، وإنما في الجدلية المتجاوزة للظواهر السطحية إلى السلبيات الاجتماعية الواعية بالمنطق الداخلي المتحكم في سيرورة الأمور، الشيء الذي يجعل من الأدب سبيلا آخر، إلى إنتاج المعرفة بالوجود وبالتاريخ، لأنه يعرض العالم بشكل تنويري، ويضيف جديدا إلى كل ماهو كائن ومعروف، وهذا التطور المتقدم بمفهوم الانعكاس هو ما فتح الباب على مصراعيه نحو نظرية الجدلية الاجتماعية في فهم الأدب وتقديره"[2]. فنظرية الانعكاس تهتم بالمضامين السياسية والايديولوجية للنصوص الإبداعية، بحثا عن مدى التزام الأديب بقضايا مجتمعه،

1-ينظر العلاّف إبراهيم خليل: بليخانوف والأسئلة الكبرى في التاريخ، HTTPS:m. ahewar.org. 2021/06/02. 22:04

2-خرماش، محمد: النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب: مفاهيم وإجراءات، النقد السوسيولوجي وقائع الملتقى الدولي الثاني حول الخطاب النقدي الأدبي المعاصر، المركز الجامعي، خنشلة، 2007، ص: 69.

والوقوف على الوظيفة الاجتماعية للأدب، ومفهوم هذه النظرية عند **جورج بليخانوف** بوصفه من مؤسسي النقد الجدلي، تتحدد عبر تفسيره الأدب في علاقته بالمجتمع، وبمختلف صراعات طبقاته، إذ يؤكد أن "القول بأن الفن –وكذلك الأدب– انعكاس للحياة... فحتى نفهم الكيفية التي يعكس بها الفن الحياة، ينبغي أن نفهم إوالية هذه الأخيرة. والحال أن صراع الطبقات لدى الشعوب المتمدينة يشكل واحدا من النوابض الرئيسة لتلك الإوالية، وإنما بعد أن نفحص هذا النابض، ونأخذ في اعتبارنا صراع الطبقات وندرس تقلباته في شتى صيغها، نمتلك المقدرة على أن نفسر تفسيرا مرضيا التاريخ الروحي للمجتمع المتمدين، ففي هذا المجتمع تعكس مسيرة الأفكار تاريخ الطبقات وصراعاتها فيما بينها."[1].

قد أجمع جل النقاد في سياق بحثهم عن جذور نظرية الانعكاس وأصول البحث في العلاقة الجدلية في الأدب والمجتمع "تعود إلى الفكر اليوناني القديم، وبخاصة إلى مفهومي "المحاكاة Mimésis" و"مشابهة الحقيقة Eikos" الذين تركهما أرسطو، واللذين لهما تأثير – وربما لا يزال– على الطروحات التي قدّمها ويقدمها الباحثون، والمنظّرون في نظرية الأدب، وفي محاولة تأسيس علم اجتماع لهما."[2] واللافت للنظر فإن الناقد الاشتراكي الروسي **فلاديمير لينين** Vladimir Lénine (1870–1824) يعود له الفضل في إرساء دعائم هذه النظرية في العصر الحديث، نظرا لاقتناعه بالفكر الماركسي، الذي كان يؤطر كل الأطاريح النظرية التي كانت تهتم بالنتاجات الأدبية آنذاك. إذ كرّس جهده لبلورة هذا التصور، حيث إنه قد كتب "بحثا دالا في هذا المقام بعنوان "ليو تولستوي مرآة الثورة الروسية". وضح فيه أن تولستوي استطاع في مؤلفاته أن يعكس جميع التناقضات التي كان المجتمع الروسي يمر بها، أثناء الثورة."[3] وهكذا فقد أسس **لينين** تصوره لنظرية الانعكاس على مسألة انعكاس

1–بليخانوف، جورج: الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1977، ص: 37.

2–خرماش، محمد: النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب: مفاهيم وإجراءات، ص ص: 67–68.

3–لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ص: 6.

الواقع الاجتماعي في النص الأدبي، منصرفا عن القيم الجمالية، معلنا عن نقد جدلي يهتم بالمضامين فقط. وقد استطاع بعد ذلك **جورج بليخانوف** تجاوز طرح **لينين** المنحصر في نقد المضامين ودعوته إلى ما يعرف بعلم الجمال الماركسي، وهذا ما سنكتشفه.

3-جورج بليخانوف من سؤال نظرية الانعكاس إلى أطروحة المعادل السوسيولوجي:

سعى **بليخانوف** ضمن مشروعه الفلسفي والنقدي، إلى تجاوز النظرة الدوغمائية للأدب، كما طرحها **لينين**، وحصر مهمة النقد في البحث عن المضامين، واستجلاء الايديولوجيات المبثوثة في النص الأدبي، مهملا تماما المعطيات الجمالية، التي تمنح الخصوصية النوعية للخطاب الأدبي، داخل الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه. الأمر الذي جعل من **بليخانوف** يعيد الاعتبار للخصائص الجمالية، التي أُبِخس حقها في التصورات المنهجية السابقة، عبر دعوته إلى ضرورة الاهتمام بها أثناء استنطاق النصوص الأدبية. وهو على اقتناع بأن مهمة النقد تكمن في "إيجاد المعادل الاجتماعي للظاهرة الاجتماعية المعطاة... [أي إنه] لا يكفي اكتشاف ذلك المعادل، وأن علم الاجتماع لا يجوز أن يغلق الباب في وجه علم الجمال، بل يجب على العكس أن يفتحه أمامه على مصراعيه... إن الفعل الأول النقد المادي لا يغني عن الفعل الثاني، بل يتطلبه بوصفه تتمته الضرورية."[1].

وهكذا نجد **بليخانوف** يرفض طرح **لينين** لاكتفائه بالمضامين، ويرسي دعائم لما يعرف بعلم الجمال الماركسي، ويضيف المعطى الجمالي، بوصفه عنصرا متكاملا مع المعطى الاجتماعي، وجعله في المرحلة الثانية من مراحل التحليل السوسيولوجي. فمن معالم التصور النقدي عنده، أنه دعا إلى ضرورة الجمع بين النقد الجمالي والنقد الاجتماعي وبحس نقدي، انتبه إلى أهمية الجانب الجمالي أثناء فعل القراءة، ودوره العميق في تحديد القيم الجمالية للنص الأدبي التي تميزه عن باقي النصوص داخل الجنس الأدبي الواحد، لذلك حدّد مهمة

1-بليخانوف، جورج: الفن والتصور المادي للتاريخ، ص: 53.

الناقد في كونها لا تكمن في البحث عن الايديولوجيات داخل النص فحسب، بل تكمن أيضا في البحث عن المعادل الاجتماعي للظاهرة الأدبية.

وبهذا المعنى يمكن القول مع الناقد **حميد لحمداني** المطروح في كتابه "الفكر النقدي الأدبي المعاصر" أن **جورج بليخانوف** قد اهتم بايديولوجيا الخطاب الأدبي، و"جعل دراسة مضمون الأدب من المهمات الأولى التي ينبغي أن يقوم بها الناقد الأدبي، ثم يأتي بعد ذلك الاهتمام بالخصائص الفنية"[1].

والواقع إن وعي **جورج بليخانوف** بالقيمة الأدبية أثناء فعل القراءة، لم يكن إلا على مستوى الطرح النظري فقط، إذ أكّد الناقد المغربي **أحمد الجرطي** في هذا السياق في كتابه "تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر" الصادر سنة 2014، بأنه لم يلتزم بهذا الطرح، في إطار تحليله رواية "ما العمل" للروائي الروسي تشر نيشيفسكي (1828-1889) فخلت مقاربته "من أي تحليل لخصائص الرواية الداخلية مثل اللغة، السرد الفضاء، واكتفاء الناقد بتلخيص مضمون الرواية، ورصد دلالتها الاجتماعية، المتمثلة في تمجيد عاطفة الحب والتغني بالأفكار الاشتراكية المثلى، والكشف عن المصادر الفكرية التي ألهمت المبدع"[2]. كما اهتم أيضا بالقيم الإيديولوجية في إطار مقاربته أعمال **تولستوي** الروائية، إذ "ركز على شخصية الكاتب، وانتمائه الطبقي أكثر من البحث عن القيم الجمالية لتلك الروايات"[3]، وبقي وفيا لهذا التصور أثناء مقاربته مسرحيات **ميكسيم غوركي** كما هو واضح في كتابه "الفن والتصور المادي للتاريخ".

1-لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ص: 67.

2-الجرطي، أحمد: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2014، ص: 29.

3-عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 24.

وقد أرجع الناقد **أحمد الجرطي** في كتابه السابق الذكر أسباب عدم التزام الناقد **بليخانوف** بإواليات تصوره النقدي على صعيد الممارسة النقدية، إلى عاملين إثنين: أولهما أن **جورج بليخانوف** لم يول أهمية كبرى لمسألة التقييم السوسيولوجي، وثانيهما أنه كان متسرعا في استخلاص البعد الفكري للعمل الأدبي، فسلك بذلك منحى الرؤية الانعكاسية الآلية.[1]

وهكذا يمكننا القول إن **جورج بليخانوف** رغم حسه النقدي بقيمة المعطى الجمالي أثناء فعل القراءة و دعوته إلى ضرورة الاهتمام به، إلى جانب الاهتمام بالمعطى السوسيولوجي، إلا أنه لم يستطع التخلص من إسار الفكر الجدلي الدوغمائي وبقي وفيا له، عبر اهتمامه بالمحتوى الفكري، والسياسي، والاجتماعي للنصوص الأدبية، ومطابقته الآلية للواقع، وبهذا فقد أغنى النقد الاجتماعي على الصعيد النظري فقط عبر بلورته أطروحة النقد الجمالي الماركسي، وتصوره النتاجات الأدبية بوصفها وثائق سياسية، واجتماعية تعكس الواقع.

1-ينظر الجرطي، أحمد: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر، ص: 29.

المراجع:

1)بليخانوف، جورج: الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1977.

2)الجرطي، أحمد: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2014.

3)خرماش، محمد: النظرية الاجتماعية في دراسة الأدب: مفاهيم وإجراءات، النقد السوسيولوجي وقائع الملتقى الدولي الثاني حول الخطاب النقدي الأدبي المعاصر، المركز الجامعي، خنشلة، 2007.

4)عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي.

5)لحمداني، حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف.

6) العلاّف إبراهيم خليل: بليخانوف والأسئلة الكبرى في التاريخ، HTTPS:m. ahewar.org. 2021/06/02. 22:04

المحاضرة السابعة: الأدب والثورة

- تمهيد.

1- جهود فلادمير لينين النقدية في النقد الاجتماعي.

1- النقد عند لينين: الرهانات والمفاهيم.

3- جهود ليون تروتسكي في النقد الاجتماعي.

- تمهيد:

يمثل النقد الجدلي شكلا من أشكال النقد الاجتماعي، في سيرورته الأولى كان له عميق الأثر في صياغة نموذج نقدي يؤمن بالعلاقة الجدلية في النتاج الأدبي والمجتمع المتعدد الطبقات، بصراعاتها الفكرية، والايديولوجية التي تنعكس في النصوص الإبداعية. إذ ارتبط هذا النقد "بالمادية التاريخية، وأخذ منها ركائزه الأساسية، وأهمها أن النتاج الأدبي، بما في ذلك الرواية، هو شكل من أشكال البنية الفكرية للمجتمع، ومادام المجتمع يشهد صراعا بين طبقاته حول المصالح المادية، فهذا يعني أيضا أن الصراع موجود على مستوى الفكر"[1] أي إن الفن من هذا المنظور إيديولوجيا، ووثيقة سياسية واجتماعية، مرجعيتها المجتمع المرتبط وعيه بالإنتاج المادي الاقتصادي. وبما أن الأدب في هذا النطاق نتاج البنية الفوقية قائم على مبدأ الانعكاس للبنى التحتية، ويواكب تغيرات المجتمع، ويرصد الأحداث التاريخية، ويكشف الصراعات الايديولوجية، ويعبر عن مرحلة تاريخية تجعله يصنف ضمن الأدب الثوري الذي ينتجه المبدعون بوصفه وسيلة لإحداث ثورة، أو التعبير عن الثورة كتيمة، أو الوعي بها كحدث ضروري لتغيير المجتمعات. ومن هذا المنظور فقد استثمر كل من **فلاديمير لينين، وليوتروتسكي** بوصفهما مفكرين ثوريين الأدب الثوري الذي أنتجه الروائي الروسي **تولستوي** عن الثورة الروسية بغية نموذج نقدي يؤطر الأدب في علاقته بالمجتمع، من خلال الوقوف على مختلف الأيديولوجيات المبثوثة في النص الابداعي، ورصد كل التحولات الاجتماعية والسياسية، والصراعات الفكرية، والكشف عن الأحداث التاريخية. وفي هذا الإطار يمكننا الوقوف على جهود **لينين وتروتسكي** في تطوير النقد الاجتماعي.

1-لحمداني حميد: النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990، ص: 56.

1- جهود فلاديمير لينين النقدية في النقد الاجتماعي:

يعد **فلاديمير لينين Vladimir lénine** (1870-1924) قائدا سياسيا ومنظرا للماركسية، وللثورة الاشتراكية، ناضل من أجل إقامة دولة يسود فيها العدل والمساواة، كان مبتغاه منحصرا في "الثورة على الملاك الكبار والبرجوازية الرأسمالية في روسيا، من أجل الفلاحين الفقراء المشتغلين، تعبر هذه الثورة عن نفسها سياسيا وايديولوجيا واجتماعيا"[1]. أي إنه ناضل والطبقة البروليتاريا لمحاربة الاستبداد والقمع والاستغلال مابين 1905-1917، إلى أن انتصرت الثورة الاشتراكية والثقافة الاشتراكية بوصفها ثورة اجتماعية مرتهنة بمبدإ المساواة. هذه الثورة التي أحدثت تحولات سياسية واجتماعية في روسيا، واكبتها نصوص إبداعية تعكس المرحلة التاريخية بمحمولاتها الايديولوجية، ولعل الروائي الروسي **ليوتولستوي Léon Tolstoi** (1828-1910) يعد من رواد الأدب الواقعي، عكس الحياة الروسية في أعماله الروائية التي اتخذها لينين عينة لطرح تصوره النقدي حول العلاقة بين الأدب والمجتمع.

وتأسيسا على الدلالة الفلسفية لمصطلح الثورة المنحصرة في كونها "انتفاضة لتغير شكل العلاقة مع الدولة، دون أي رغبة في تدميرها"[2] فقد عالج **لينين** نصوص **تولستوي** معتبرا إياها أنماطا ثورية تخلخل التقاليد المجتمعية السائدة، وعبرها يُعبِّر الأديب عن مواقفه وإيديولوجيته وعلاقته بالدولة. إذ يرى بأن الأدب "عند شعب محروم من الحرية السياسية هو المنبر الوحيد الذي يستطيع من خلاله أن يسمع صراخ استنكاره في وجدانه"[3]. استثمر لينين هذه الأطروحة وآمن بأن الأدب بوصفه نشاطا إنسانيا يعبر عن المحطات التاريخية التي

1-أقضاض محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي، التأسيس، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص: 74.

2-المسكين، فتحي والمسكين أم الزين بنشيخة: الثورات العربية... سيرة غير ذاتية، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص: 25.

3- ماشري بير: لينين ناقد تولستوي، نقلا عن أقضاض محمد، مقاربة الخطاب النقدي المغربي، ص ص: 74-75

شهدها المجتمع، وأعد أدب تولستوي "أدب واقعي لأنه رصد العلاقات السائدة بين الفلاحين الفقراء والملاك الكبار، وبين جانبها اللاإنساني رغم كونه ينتمي اجتماعيا إلى هؤلاء الملاك"[1].

وإن الخطوات التحليلية التي اعتمدها لينين في إطار مقاربته نصوص تولستوي تأسست على الربط بين "العناصر التاريخية لحركة المجتمع وأفكار طبقاته المختلفة، وموازنتها بالنماذج التي حفلت بها الروايات، ثم الانتقال بعد ذلك للحديث عن إيديولوجية الكاتب، وموقفه الشخصي، وتقييم دوره الفعلي في الحياة الواقعية"[2]. وهكذا فقد لينين المضمون السياسي والإيديولوجي لنصوص تولستوي، ورصده مدى انعكاس المرحلة التاريخية، وتبيانه ايديولوجيا الكاتب، ووعيه بالقضايا المجتمعية، وبالصراع الطبقي.

2- النقد عند لينين: الرهانات المعرفية والمفاهيم:

راهن **لينين** في سياق مقاربته نصوص **تولستوي** ضمن منجزه "عن الفن والأدب" على تتبع انعكاس المرحلة التاريخية للمجتمع الروسي في روايات **تولستوي**، والكشف عن مختلف الايديولوجيات، وحل الصراعات الفكرية، فانحصر نقده ضمن نقد المضامين، وهذا النمط من النقد ينسجم والغايات التي استهدفها الناقد، إذ إن "نقده لم يكن من أجل تحليل روايات الكاتب الروسي تحليلا فنيا وشاملا، ولكن هدفه الأول والأخير هو إبراز مرحلة تاريخية عكسها أدب هذا الكاتب، وكان هذا الهم مفروضا على لينين تاريخيا من أجل مصلحة حزبه، لأنه كان يصارع سياسيا واجتماعيا وايديولوجيا، لذلك اختزل العمل الأدبي في محموله السياسي والايديولوجي"[1]. بهذا المعنى فمرتكزات نقده تتأسس على البعدين السياسي والايديولوجي وإهمال البعد الجمالي، وتعامله مع النص بوصفه وثيقة تاريخية سياسية.

1-أقضاض محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي، ص ص:75-76.

2-عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 22.

ولتأثيث تصوره النقدي وتأكيد واقعية النصوص الإبداعية، فقد بلور **لينين** جملة من المفاهيم النقدية تفصح عن تصوره الأدب بأنه نشاط إنساني واقعي تسجيلي مرجعيته المجتمع. وهذه المفاهيم هي: "المرآة، والانعكاس، والتعبير"[1]. أي إن النصوص الإبداعية هي انعكاس للظواهر التاريخية والاجتماعية، وتعبير عن رؤية الكاتب للعالم وعن إيديولوجيته، وأهم الايديولوجيات والصراعات الفكرية، وتعبير أيضا عن موقفه من تلك الصراعات، لذلك أهمل المعطيات الجمالية في قراءاته النقدية.

3- جهود ليون تروتسكي في النقد الاجتماعي:

يعد الناقد الروسي **ليون تروتسكي Léon Trotski** (1879-1940) أحد زعماء الثورة الروسية 1917، ومن بين النقاد الروسين الذين أسهموا في إغناء الفكر السوسيولوجي بطروحات تعكس خصوصياته النوعية في نظرته لعلاقة الأدب بالمجتمع. فقد استند على الفلسفة المادية التاريخية، وشيّد تصوره على فرضية مؤداها أن "الماركسية لا تفرض قيودا على الفن، ولكنها ترى أن من الطبيعي أن يولد فن جديد يضع البروليتاريا- أي الطبقة الكادحة- في المركز. وللفنان أن يعبر عن همومه الشخصية لكن شريطة ألا يفكر في الحاضر بعقلية الماضي، أي أن يحترم حركة التاريخ ويؤمن بحتمية التقدم."[2] بالطبقة الكادحة، وهو على اقتناع بأن الدينامية عامل يرتهن به المجتمع، لأن الفنان ملزم بتصوير تغيرات المرحلة الانتقالية بوصفه فنانا ثوريا يتخذ من فنه طريقة لاحداث التغيير ومساندة الطبقة البروليتارية، إذ يرى بأن "الثورة ترفع صراع الطبقات إلى الذروة، والأدب الذي يساند العمال خلال الثورة في صراعهم ضد المستغلين ضروري وتقدمي"[3] .

1-المرجع السابق، ص: 76.

2-الرويلي ميجان والبازعي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2007، ص ص: 324-325.

3-تروتسكي ليون: الأدب والثورة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1975، ص: 20.

والواقع أن **تروتسكي** في سياق بلورته نموذجه النقدي ومعالجة قضية الأدب الثوري، قد قسم الفن عموما إلى نمطين اثنين: "الأعمال التي يعكس موضوعها الثورة، والأعمال المشبعة بعمق، بالوعي الجديد المنبثق عن الثورة من دون أن تكون مرتبطة بهذه الثورة بموضوعها"[1]. إن فعالية هذا التقسيم متأتية من وعيه بأن الأدب يصور الحياة، ويستجيب لروح المرحلة التاريخية فيتشكل الأدب الثوري الذي ينتجه مبدع ثوري.

وقد اتخذ **تروتسكي** من نصوص الروائي تولستوي مادة للدراسة والتحليل بوصفها تعكس الثورة الروسية، ونشر الدراسة في كتابه "الأدب والثورة"، تميزت هذه الدراسة بـ "النقد الايديولوجي الصريح، الذي يجعل النصوص الأدبية بمثابة وثائق سياسية، تعبر عن آراء الكاتب السياسية الصريحة، فيركز نقده على شخصية الكاتب وانتمائه الطبقي،...إن هذا النموذج من النقد السوسيولوجي ساذج في أحكامه، ضيق الأفق لانزوائه في حدود الحكم الايديولوجي الصرف الذي لا يحاول البحث في القيم الشكلية، ويقتصر في بحثه على سوسيولوجيا المضامين"[2].

عموما إن النقد الذي مارسه **لينين وتروتسكي** لنصوص **تولستوي** الابداعية التي تصنف ضمن الأدب الثوري، نقد جدلي، يقوم على أساس نقد المضامين والكشف عن الأبعاد السياسية والايديولوجية، واستجلاء الصراعات الفكرية دون الاهتمام بالمعطيات الجمالية.

1-المرجع السابق، ص: 19.

2-عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي، ص: 23.

المراجع:

1) أقضاض محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي، التأسيس، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2007.

2) تروتسكي ليون: الأدب والثورة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1975.

3) الرويلي ميجان والبازعي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2007.

4) عيلان، عمر: الأدبي والاجتماعي.

5) لحمداني حميد: النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990.

6) المسكين، فتحي والمسكين أم الزين بنشيخة: الثورات العربية... سيرة غير ذاتية، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

المحاضرة الثامنة: الواقعية الاشتراكية

- تمهيد.

1- الواقعية: أصل المصطلح والماهية.

2- الواقعية في الأدب والنقد الأدبي.

3- أنواع الواقعية

3-1-ا لواقعية الاشتراكية.

3-2- الواقعية الطبيعية.

3-3- الواقعية النقدية.

3-4- الواقعية التسجيلية.

تمهيد:

أجمعت الأدبيات النقدية على أن الواقعية Réalisme بوصفها فلسفة، ومذهبا أدبيا، واتجاها نقديا قد ارتبط ظهورها بظهور جنس الرواية بخصائصه الأجناسية والفنية، وبقدرتها على استيعاب المجتمع بقضاياه المتناقضة، وصراعات طبقاته الدائمة، وقد ساعد في ظهورها التحولات السوسيوثقافية التي شهدها العالم في القرن التاسع عشر، والتي تعكس مرحلة تاريخية تؤطرها الفلسفة الواقعية، المتوخاة من الفلسفة المادية الجدلية كمقابل للفلسفة المثالية التي كانت سائدة آنذاك، بحثا عن مقاربة للنصوص الإبداعية في علاقتها بالواقع الاجتماعي، واستجلاء مدى التزام المبدع بقضايا مجتمعه، ووعيه بها، وهكذا ارتبطت الواقعية بالأدب بوصفه جزءا من البنية الفوقية للمجتمع، وتجسّد ذلك عبر روايات: **بلزاك، فلوسير، ستندال، غوركي، تولستوي، بوشكين**، وغيرها.

إن تراكم الرواية الواقعية، نتج عنها مواكبة نقدية تنظيرا وإنجازا، إذ اتخذها المنظرون والنقاد متنا للدراسة بغية التقعيد للواقعية، وتحديد خصائصها النوعية، وضبط ماهيتها، وإثارة جملة من الأسئلة متعلقة بـ: ماهية الأدب، وطبيعته، معنى الواقع والواقعية، مفاهيم مقاربة الأدب الواقعي وأنواع الواقعيات، هذه الأخيرة التي يُغذيها مبدأ اختلاف الرؤى والاقتناعات الفكرية التي يؤمن بها المنظرون والنقاد، فتعددت الرؤى بتعدد الاقتناعات الفكرية والنقدية.

1-الواقعية: أصل المصطلح والماهية:

يعود أصل مصطلح الواقعية إلى حقل الفلسفة، قبل أن ينتقل إلى حقل الأدب والنقد، إذ أجمعت دراسات عديدة على أنه مصطلح فضفاض، عرف استعمالات متباينة، أثرت سلبا في ضبط ماهيته. ويعني هذا المصطلح في الفلسفة: "الاعتقاد بواقعية الأفكار"[1]. وعلى هذا الأساس فالواقعية مرتهنة بفرضية قائمة على أن الحقائق صورة عن الواقع، الذي يعد في

1-فضل، صلاح: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 11.

نظرها مصدر كل الحقائق، فقد ساعدت عوامل عدة في بلورة هذا المصطلح والمفهوم، اتفق عليها بعض أهل الاختصاص، ومتمثلة في "ظهور بعض المذاهب التجريبية الواقعية من جهة، والمثالية من جهة أخرى. وأدى أوغست كونت دورا مميزا في توجيه الفن والأدب نحو الواقعية، ففي فلسفة الوضعية يدعو إلى إقامة أسس علم الاجتماع على التجارب"[1].

وقد تأسس هذا المصطلح في القرن الثامن عشر (ق 18)، كما أشارت إلى ذلك الباحثة **أزرويل فاطمة الزهراء** في كتابها "مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، مصادرها العربية والأجنبية" الصادر سنة 1989، وتعد سنة 1934 هي السنة التي "صادق فيها الكتاب في الاتحاد السوفياتي على الواقعية الاشتراكية كمنهج في الأدب والفن،... وفي فرنسا غدا المصطلح شائع الاستعمال خلال القرن التاسع عشر، في مجال الحكم على الأعمال الروائية، التي ترتبط بتفاصيل الحياة اليومية، لتعطي الانطباع بالواقعية أو صدق التعبير"[2].

وبهذا المعنى فقد انتقلت الواقعية إلى الأدب وأصبحت مذهبا أدبيا، يشكل خلفية فلسفية للنصوص الواقعية، ولم تتوقف الواقعية عند حدود الأدب فحسب، بل انتقلت أيضا إلى النقد الأدبي، بوصفه حقلا ابستيمولوجيا، يقارب النصوص الأدبية، هادفا إلى الوقوف على قيمتها الجمالية، واستجلاء خصوصيتها النوعية، وأصبحت رؤية نقدية تهتم بالبحث عن رؤية الأديب للعالم، وعن أديولوجيته، ونمط واقعيته، عبر استثمارها مفاهيم معينة متباينة تباين أنماط الواقعية.

1-الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، ص: 78.

2-أزرويل،فاطمة الزهراء:مفاهيم نقد الرواية بالمغرب مصادرها العربية و الأجنبية،نشر الفنك،الدار البيضاء،1989،ص ص:127-128

2-الواقعية في الأدب والنقد الأدبي:

تتأسس الواقعية في الأدب على ضرورة تصوير الواقع بتمفصلاته، تصويرا دقيقا صادقا، يؤشر على اقتناعات الأديب الفكرية، وعلى واقعيته في حد ذاتها، حيث إن الواقعية لم تعد "هي واقعية الواقع محايدا أو في حد ذاته، أو كما هو في الخارج فقط، وإنما هي واقعية الأديب كما تمثله، وفي أية صورة استحضره وعلى ما شاء أن يركّبه"[1]. فعلى الأديب من منظور الواقعية أن يعي بشكل جيد واقعه، ويستوعبه ويجيد تمثله في خطابه الأدبي، خدمة للمجتمع وللإنسان، أي إنه ملزم بهذا الدور، وقد أجمعت الدراسات الأدبية على أن رائد هذا الاتجاه القاص **شان فلوري** الذي نشر مجلة تحمل اسم الواقعية.

والحقيقة أن واقعية الأدب، هي أطروحة ممتدة -كما أشرنا سابقا- إلى نظرية المحاكاة التي تبلورت في القرن الرابع قبل الميلاد، التي تؤمن بأن "الأدب ليس كيانا جميلا وفارغا، وإنما هو ذو حمولة فكرية أيضا."[2] هكذا فالواقعية "بالمعنى الواسع في الإنتاج الأدبي هي محاولة لنقل الواقع أو الطبيعة بما فيها الإنسان، وتصويرهما بدقة وأمانة، وهذا يذكر في التفكير الأدبي والفني بمفهوم المحاكاة العريق الذي كان يرى أن أقصى ما يستطيعه الشاعر أو الفنان المبدع هو أن يصطنع في إبداعه عالما تخييليا على غرار ما يجري في الحياة"[3].

وتتأسس واقعية الأدب عبر صيغتين اثنتين، الأولى متعلقة بـ "طبيعته الإبداعية، حيث تتأسس على أن المبدع ينتج عمله الأدبي انطلاقا من كونه يعيش في مجتمع معين، وفي مرحلة تاريخية محددة وواقع خاص، [والأخرى مرتبطة بـ] علاقة الأدب بواقعه، إذن يتناول

1-خرماش، محمد: اشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي 2 الواقعية والواقعية الجدلية، مطبعة آنفو-برانت، فاس، ط1، 2006، ص: 8.

2-المرجع نفسه، ص: 8.

3-المرجع نفسه، ص: 5.

الأدب عن وعي منه، قضايا الإنسان في حياته الواقعية، وفي علاقاته الاجتماعية والإنسانية".[1]

هذا عن الواقعية في الأدب، أما عن الواقعية في النقد الأدبي، يمكن أن نعدّه تيارا نقديا تؤطره الفلسفة الماركسية غايته الكشف عن نمط الواقعية وطبيعتها، و"يبيّن نوع علاقة الأدب بالواقع، وذلك انطلاقا من رؤية كل من الناقد والأديب،... من خلال تتبعه للنصوص الأدبية معتمدا على تقنيات منهجية ونظرية تساعد الناقد على ذلك التناول"[2].

واللافت للنظر أن مصطلح الواقعية في النقد الأدبي لا يرد مستقلا لأنه سيكون " مبهما، الأمر الذي يدفع الدارسين إلى ربطها بنعت يحددها أكثر."[3]

إن ارتباط الواقعية في النقد الأدبي بتوصيف يضبط حدودها، ويميزها عن باقي الواقعيات يؤشر على تعدد الرؤى النقدية وتباينها، وتناقضها في عديد السياقات، من حيث الماهية، من حيث رؤيتها للخطاب الأدبي، ومن حيث مفاهيمها، وعلى هذا الأساس يكون "لنقاد الروس الرسميين مصطلح "الواقعية الاشتراكية، ولبريخت B.Brecht "الواقعية المقاتلة" [وغيرها من الواقعيات]، رغم كون هؤلاء يستندون إلى نسق فكري مرجعي واحد هو المادية التاريخية"[3]. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نشير إلى ماهيتها عند عصبة من النقاد، **فلوكاتش** أعدّها "جزءا من حركة التاريخ المتطورة، ولذلك ظل مهتمها بالمعرفة الأدبية، ولم يكن بناء الأعمال الأدبية بقدر ماكان يقرأ فيها سيرورة التاريخ الصاعدة"[5]، أما مفهومها عند **فيشر**، الذي حدّدها في كتابه "الفن ضد الايديولوجيا" الصادر سنة 1969، بأنها "صيغة من صيغ العمل، يلون فيها كل كاتب إبداعه بأسلوبه الخاص، انطلاقا من تجربته الشخصية ومن

1-أقضاض، محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي، التأسيس، ص ص: 70-71.

2-المرجع نفسه، ص: 71.

3-المرجع نفسه، ص: 71.

4-المرجع نفسه،ص:71.

5-خرماش،محمد:إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي،ص ص:24-25

حياته الاجتماعية"[1]. أما الواقعية عند **غاردوي** فهي "محاكاة نشاطات الواقع، وليست نسخة، وهي أيضا الوعي بالمشاركة في خلق وتجديد الإنسان لنفسه"[2]. فهذه عينات عن ماهية الواقعية في النقد الأدبي تؤشر على تعددية مفاهيمها، بتعدد الرؤى الفكرية، والأهداف المتوخاة.

3-أنواع الواقعية:

يلمس الباحث المتتبع لموضوع الواقعية في النقد الأدبي واقعيات واللافت للنظر أن عنوان المحاضرة، موسوما بـ "الواقعية الاشتراكية" وهي شكل من أشكال الواقعية، لكن أرى بأن الضرورة المنهجية تقتضي الإشارة باقتضاب إلى باقي أنماط الواقعية، كونها تتقاطع أيضا في رؤيتها للعلاقة الضرورية بين الأدب والمجتمع.

3-1-الواقعية الاشتراكية:

هي نمط من أنماط الواقعية، يصطلح عليها أيضا بالواقعية الجدلية، وأجمعت الأدبيات النقدية أن الأديب **ميكسيم غوركي** رائد هذا الاتجاه، ومؤسسه، كونه "عرف كيف يُسخّر عبقريته الفنية لدمج الأفكار الاشتراكية مع الحركة الثورية للجماهير الشعبية، بزعامة الطبقة العاملة، [بهذا المعنى فإنها مرتهنة بـ] العنصر النضالي [و] بالعنصر الشخصي قصد تحقيق الوعي الثوري وبناء المجتمع الجديد، والمساهمة في تغيير الواقع"[3]. وتنظر الواقعية الاشتراكية إلى الأدب "كظاهرة اجتماعية في نطاق العلاقة الديالكيتيكية بين الفكر والواقع الذي يفرزه والواقع الذي يفرزه ويوجهه، فهي واقعية لأنها تدعو إلى ملاحظة الواقع وتسجيله بدقة وموضوعية، خالية من العواطف والتهيؤات، أو النزعات الشخصية، وهي جدلية لأنها مرتبطة في معظم تجلياتها بالتفسير المادي للتاريخ وبمبادئ الفلسفة الماركسية اللينينية التي

1-المرجع السابق، ص: 16.

2-سليمان، نبيل: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1985، ص: 50.

3-خرماش، محمد: إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي 2، ص ص: 14-15.

ترى أن الظواهر المختلفة للكون، ماهي إلا أوجه متعددة للمادة في حركيتها الدائبة، حسب قوانين الجدل بين ماهو سلبي وما هو إيجابي في الكون"[1].

3-2-الواقعية الطبيعية:

رائد هذا النمط هو الروائي الفرنسي **إيميل زولا** Emil Zola (1840-1902)، وهي واقعية تقوم على ضرورة "تطبيق الطريقة التجريبية على الحياة العاطفية والفكرية، لإيجاد العلاقات التي تربط الظاهرة بأسبابها"[2].

3-3-الواقعية النقدية:

هذا النمط من الواقعية يرى الواقع "منحرفا عن خطاها، ولذلك تجتهد في تصويره على ماهو عليه من انحراف حسب مقاييسها بدعوى التبصيرية والتحذير من عواقبه كي ينفر الناس منه، ويعمدون إلى تغييره وإصلاحه، ولذلك يتخذ هؤلاء الواقعيون الاصلاحيون مادة عملهم من واقع الطبقات الدنيا، ومن السلوكات المنحطة أو المنكرة على اعتبار ينبغي أن يتفطن لها الكاتب الحصيف، ويعمل على تجاوزها ليكون واقعا بحق، ومن ثم فهي تقتضي قبلا، بحثا في أعماق النفس البشرية، ومعرفة بدوافع السلوك وبالأنظمة والمواصفات القائمة على معطيات بيئية واجتماعية متكاملة"[3].

3-4 الواقعية التسجيلية:

نمط من الواقعية يصطلح عليها أيضا بالواقعية المرآوية تتحدد "بالنسبة إلى الباحث بكونها تلك التي تتخذ من رصد الظواهر في جانبها الحسي مجالا لها، ولا يعني ذلك

1-المرجع السابق، ص: 71.

2-المرجع نفسه، ص: 10.

3-المرجع نفسه، ص: 9.

بالضرورة أنها تتجاهل الجوانب النفسية، ولكنها تعطيها مرتبة ثانية أو ثالثة"[1]. وتعرف بكونها واقعية ساذجة.

وبهذا المعنى فالواقعية قد عرفت ارتحالا من حقل الفلسفة إلى الأدب فالنقد، تغذيها الفلسفة الماركسية وتؤشر على وجهة نظر النقاد إلى الأدب في علاقته بالمجتمع، فتعدد الرؤى، وتباينت الرهنات المعرفية.

1–اليوسفي، الذهبي: الأدب والايديولوجيا، ص: 449.

المراجع:

1) أقضاض، محمد: مقاربة الخطاب النقدي المغربي، التأسيس.
2) خرماش، محمد: اشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي 2 الواقعية والواقعية الجدلية، مطبعة آنفو –برانت، فاس، ط$_1$، 2006.
3) سليمان، نبيل: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط$_1$، 1985.
4) فضل، صلاح: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
5) الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد.

المحاضرة التاسعة: بلنسكي والممارسة النقدية

- تمهيد.

1- بلنسكي والمرتكزات المعرفية.

2- كتاب "الممارسة النقدية" الهندسة البنائية والرهانات المعرفية.

3- التصور النقدي عند بلنسكي الثابت والمتغير.

4- بلنسكي وأسئلة القراءة.

- تمهيد:

تعددت النظريات السوسيولوجية السائدة في الفكر الروسي خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر، وتباينت التصورات النظرية للفن عامة وللأدب على وجه الخصوص، واختلفت نتيجة ذلك المداخل النقدية ومرتكزاتها. وفي هذا المناخ الفكري الذي يعج بالرؤى والمنظورات، ظهر المفكر والناقد **بلنسكي**، ليعمق تلك التصورات السائدة، ويطرح منظوره الفكري والنقدي المتعلق بالوشائج القائمة بين الفن والمجتمع، مهتما بالفكر الاجتماعي وبالأدب القومي الروسي، منطلقا من الحياة اليومية والثقافية في روسيا، ليحدث بذلك منعطفا واضحا في مسار النقد الواقعي عبر بلورته مسألة العلاقة بين النظرية والممارسة النقدية، التي تؤشر على الخصوصية النوعية لتصوره النقدي في إطار النقد الاجتماعي.

ونسعى في هذا الإطار إلى التعرف على المفكر الناقد **بلنسكي** والكشف عن خلفياته المعرفية، وإضافاته في النقد الاجتماعي، وتحديد رؤيته المنهجية، وتصوره للأدب، وتبيان مواقفه النقدية.

1- بلنسكي: النشأة والمرتكزات المعرفية:

بلنسكي نيسار بون غريغوريفتش (1811-1848) مفكر، وأديب وناقد ثوري ديمقراطي روسي، عارض التوجه الرومانسي ورفض بعض التصورات السوسيولوجية، كما كان الصوت المعارض للإقطاعية والاستبداد في روسيا، عمل في الصحافة، "بدأ بلنسكي نشاطه فيلسوفا، وتطور فكره الفلسفي من مقولات عصر النهضة الأوروبي إلى الفكر الثوري الديمقراطي، ومن المثالية الألمانية عند شيلنغ وهيغل إلى المادية الروسية؟"[1].

1-قضماني، رضوان: بلنسكي (غيساربون غريغوريفتش)، الموسوعة العربية، www.arab-ency.com.

ويعد **بلنسكي** في طليعة النقاد السوسيولوجين الذين انتبهوا إلى العلاقة بين الفن والمحمولات الايديولوجية والاجتماعية، راجع معطيات النقد السائد أنذاك، ليصحح مساره عبر تجاوز هناته، وقد خلق "ثروة أدبية هائلة، فكتب أربعة عشر مجلدا في زمن يقارب أربعة عشر عاما. لقد مارس بيلنسكي نشاطه النقدي من عام 1834 إلى عام 1948، فأثر في هذا الوقت القصير تأثيرا كبيرا في تطور الأدب الروسي القومي. وفي كل تاريخ الفكر الاجتماعي الروسي"[1] ومن أهم أعماله "الأماني الأدبية" و"رسالة إلى غوغول" و"الممارسة النقدية".

2- كتاب "الممارسة النقدية" الهندسة البنائية والرهانات المعرفية:

يعكس هذا الكتاب المنظور النقدي ومرتكزاته للناقد **بلنسكي** بوصفه رائدا من رواد النقد الواقعي في الفكر النقدي الروسي، له عميق الأثر في تطوير مسار هذا التوجه النقدي خصص هذا الكتاب لمقاربة نصوص كل من الشاعر الروائي الروسي **بوشكين** والروائي والمسرحي الروسي **غوغول** والشاعر **ليرمانتوف** ، بوصفهم أصواتا إبداعية روسية تنقل عالم الواقع إلى عالم المتخيل، علاوة على تخصيصه مساحة في هذا الكتاب لتقديم نظرة حول الأدب الروسي عام 1847، فقد اتخذ **بلنسكي** من الأدب الروسي متنا لتقديم رؤيته النقدية الجديدة التي تنسجم والواقعية الاشتراكية بوصفها مدرسة نقدية آمن بمبادئها. ويقوم هذا الكتاب على صعيد البناء المعماري على قسمين إثنين؛ القسم الأول مداره مقاربة الأعمال الإبداعية **لبوشكين**، وخصص القسم الآخر لمحاورة أعمال كل من **غوغول، وليرمانتوف** من جهة، ورصد خصوصية الكتابة الإبداعية في الأدب الروسي عام 1847 من جهة أخرى. فعبر هذا الكتاب بلور **بلنسكي** تصوره النقدي، محاورا مسائل فكرية، وقضايا معرفية ونقدية متعلقة بعلاقة الواقع الاجتماعي، والحياة الاجتماعية المعاصرة بالفن، كما يكشف أيضا عن

1-بيلنسكي: الممارسة النقدية، تر:فؤاد مركسي، مالك صقور، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982، ص: 05.

إضافاته النوعية في الحقل النقدي، والمتمثلة في دعوته إلى ضرورة الاهتمام بالممارسة النقدية للنص الإبداعي بوصفها مرحلة تحليلية تؤطرها ضوابط معرفية تحددها النظرية، وتطرح مفاهيم إجرائية تساعد على تفكيك النص الأدبي واستجلاء خصوصيته النوعية على الصعيدين الجمالي والمرجعي، كما يلح أيضا على مبدإ المواءمة بين إواليات النظرية وضرورة استثمار الكفاءات الأدائية للعدة المفاهيمية أثناء الممارسة النقدية، وهذا ما نستشفه عبر كتابه هذا، إذ إنه يرصد حدود النظرية، ويشغّل أدواتها لمقاربة الأعمال الإبداعية.

ففي هذا الكتاب "تتجلى للقارئ العربي والكاتب والناقد العربي ممارسة النقد الأدبي على أعمق وأبهى صورها، سواء من خلال ما قاله بيلنسكي في يوشكين، أو من خلال ما قدمهُ أيضا في ليرمانتوف وغوغول، وهذا الكتاب يرسم بدقة بالغة تلك العلاقة الشديدة الخصوصية والتعقيد بين النظرية والممارسة في النقد الأدبي"[1]. وبهذا المعنى فقد أحدث بلنسكي منعرجا حاسما في تاريخ النظرية النقدية في الفكر النقدي العالمي.

3- أسس التصور النقدي عند بلنسكي: الثابت والمتغير:

شيّد **بلنسكي** مشروعه النقدي إن صح القول، أو رؤاه النقدية على جملة من الأطروحات الفكرية المستمدة من الفلسفة المادية الجدلية بصورة عامة. والتي طرحها في مجلاّت عدة نذكر منها مجلتي "تلسكوب" و"زابيسكي"، كما ورد ذلك في مقدمة كتابه "الممارسة النقدية"، وقد ارتهن طرحه بتحقيق أهداف معرفية مؤداها تقديم إجابات عن تساؤلات فرضها الواقع الراهن، متعلقة بماهية الكتابة، وبمهمة النقد وكنه الفن ودوره، صورة الكاتب الحقيقي، إذ إن "أهم الأفكار التي طرحها بلنسكي وحافظ عليها في كل فترة نشاطه الأدبي، كانت متصلة صلة وثيقة بدور الفن الاجتماعي، فقد طالب الشعر، ....-بل- يقدم أعمالا إبداعية مستمدة من المهمات الرفيعة والقيمة التي تخدم الإنسان، وعلى الأدب -يقول

1-المرجع السابق، ص: 188.

بلنسكي– بل الفن عموما، أن يربي شعور الكراهية تجاه كل اضطهاد وتعسف. وعليه أن يعبر عن آمال الشعب وآلامه ويساعد في تكوين الأسس الاجتماعية العادلة"[1]. بهذا المعنى فقد أسس **بلنسكي** رؤيته النقدية على ضرورة الاهتمام بالدور الاجتماعي للفن عموما وللأدب على وجه الخصوص بوصفه تعبيرا عن الحياة، وعلى إلحاحه بضرورة معالجة النصوص الإبداعية للقضايا الاجتماعية، وتجسيدها تحولات المجتمع.

و قد عارض الناقد **بلنسكي** في كتابه " الممارسة النقدية" الشعر الرومانسي من حيث بناؤه الفكري، ودعوته الشعراء إلى ضرورة الامتياح من معين المجتمع والحياة اليومية، والالتزام بالتعبير عن واقع الشعوب، وتشكيل ونظم قصائد ذات نزوع اجتماعي أخلاقي، والعمل على تعميق الوعي لدى الأفراد بقيمة العدالة الاجتماعية. تؤشر هذه المعطيات على اهتمامه بالمرجعية الاجتماعية للنصوص الإبداعية. وحرصا منه على صياغة تصور نظري للأدب، فقد اهتم إلى جانب ما تم ذكره بالتحولات التاريخية التي شهدها الأدب الروسي، خاصة الأدب الوطني السابق لنصوص الروائي والشاعر الروسي **يوشكين**، بغية الوقوف على الخصائص الجمالية والفكرية لذلك الأدب، ليسعفه ذلك في تقديم قراءة منتجة لنصوص يوشكين الإبداعية، التي أحدثت خلخلة في بناء النص الأدبي الروسي.

ويحصر **بلنسكي** ضمن السياق ذاته مهمة النقد الأساسية، والتي تكمن في دراسة "موضوع العمل الفني ومن ثمة دراسة أهمية الشاعر وجوهر شعره، والسعي إلى فهم موضوع إبداعه"[2]. وتأسيسا على هذا فإنه يجعل من المضامين قطب الرحى أثناء كل مقاربة للنص الأدبي، فعلى الناقد رصد مستويات النص الاجتماعي، واستجلاء مدى واقعيتها، وبناء على ذلك تتحدد أهمية الشاعر من عدمها، ويُفهم نصه. ففي ضوء دراسته الأدب الروسي يرى بأن عظمة الكاتب تكمن في "تصوير الواقع تصويرا صادقا..... فعلى الكاتب لكي يكون

1–المرجع السابق، ص: 07.

2–المرجع نفسه، ص: 10.

عظيما أن يطرح آراءه بحرارة وإيمان عميق"[1]. يفضي بنا قول **بلنسكي** إلى التأكيد على دعوته الصريحة إلى تبني الواقعية تيارا أدبيا ومدرسة نقدية، فهو على اقتناع عميق بضرورة تجسيد وتصوير الواقع تصويرا صادقا، مستلهما في هذا الطرح تصور نظرية الانعكاس من النص الأدبي، ويجعل عظمة المبدع مرتهنة بمدى إيمانه بآرائه، ووعيه بوظيفته وعمقه في رصد المظاهر المجتمعية، ومعالجته الواقع تجسيدا لعلاقة الجدلية بين الفرد وعالمه بحس نقدي.

واللافت للنظر أن **بلنسكي** علاوة على معارضته المدرسة الرومانسية وما ذهبت إليه من إعلاء للذات، وانسحاب من الواقع. فقد قدّم نقدا للنظريات التقليدية والراهنة التي أطرت/ وتؤطر الأدب الروسي، وأكد على أهمية الواقعية الطبيعية التي لقيت انتقادا كبيرا من لدن خصومه آنذاك بوصفها تبالغ في تصوير الواقع تصويرا سطحيا، إذ انتصر لها، مؤكدا أن النصوص الإبداعية قد تجاوزت بعض النظريات الراهنة آنذاك، مشيدا بالأدب في المدرسة الطبيعية، إن كان "ثمرة الأفكار الواعية، ظهر كبدعة، وبدأ بالمحاكاة، لكنه لم يتوقف عند ذلك، بل سعى كي يصبح أصيلا وشعبيا. ومن الاتجاه البلاغي انطلق ليكون واقعيا وطبيعيا"[2]. فمن المعالم المتغيرة في منظوره، والجديدة عن التصورات السوسيولوجية السابقة والراهنة، بلورته مصطلح الشعبية الذي يقصد به تصوير الواقع، وتجسيد المظاهر المجتمعية بدقة، هذا المصطلح الذي أعده جوهر الدراسات النقدية الواقعية، وهكذا فقد ناقش **بلنسكي** قضايا متعلقة "بجوهر الفن، ودوره الاجتماعي وطبيعة الصدق الفني، ومحتوى أهمية مفهوم الشعبية للفن، وأول من تصدى لنظرية الفن للفن، إذ يعد الحياة أهم موضوع للفن من خلال انتمائه لنظرية الفن للحياة التي آمنت بها الماركسية..... ويرى أن الفنان يعيد خلق الحياة،

1-المرجع السابق، ص: 18.

2-المرجع نفسه، ص: 175.

وأكد على شعبية الأدب، وفضح الشعبية الكاذبة التي تعبر عن حياة الفئات الدنيا فقط، بوصف الفن هو المعبر الحقيقي عن الجمال"[1].

4- بلنسكي وأسئلة القراءة:

قدم **بلنسكي** في إطار مشروعه النقدي قراءات نقدية لأدباء روسيين، متجاوزا –كما ذكر ذلك في كتابه سابق الذكر– عجز النقد السائد الذي يرى بأنه لم يستطع فهم النصوص الناضجة في الأدب الروسي، فاهتم بالتجربة الإبداعية لكن من **بوشكين، وليرمونتوف، وغوغول**، إذ جعل من النقد "عاملا مهما في حياة المجتمع الروحية"[2]. وعلى هذا الأساس عالج مؤلفات **بوشكين** في دراسة موسومة بـ "مؤلفات الكسندر بوشكين" مقارنا بينها وبين الظواهر الأدبية السابقة والمعاصرة له، وكذلك قارن بينها وبين أعمالا إبداعية من الأدب الأوروبي كما ورد ذلك في مقدمة كتابه، ففي سياق دراسته أشعاره، انتهى إلى أن شعره "صادق صدق مدهشا في تصويره للواقع الروسي، سواء أكان تصور الطبيعة الروسية أو [أم] الطبائع الروسية"[3]

يتضح من هذا القول النقدي بأن النص الأدبي في تصوره نص ايديولوجي، يصور الواقع بصدق وبدقة، لذلك نجده يهتم بالمضامين، محددا تيمات قصائده التي تتراوح بين الحب، والصداقة. إلى جانب ذلك فقد تتبع على صعيد الممارسة النقدية مدى تحسس **بوشكين** المظاهر الاجتماعية، وتعبيره عن القيم الفكرية واليومية في المجتمع الروسي. وإذا انتقلنا إلى مقاربته النص الروائي "يفغيني أو نيغنين" **لبوشكين** الذي أعدّه أهم أعماله الإبداعية، عبره يعكس رؤيته للعالم، يلاحظ أنه قد ركز في نقده على المضامين وعلى خصوصيات شخصية المؤلف، وعلاقته بالواقع، والأسلوب السردي، إذ يرى بأنها رواية "من

1–الزيدي، جواد: علم الجمال الماركسي وصورة فهم العالم. www.iraqicp.com. يوم: 2021/04/01.

2–بلنسكي: الممارسة النقدية، ص: 07.

3–المرجع نفسه، ص:07

حيث الشكل تمتاز بأعلى الدرجات الفنية الرفيعة، أما من حيث المضمون فعيوبها نفسها تشكل قيمتها العظيمة"[1]. وبهذا فقد جمع الشكل والمضمون في قراءته هذه الرواية.

كما استنطق **بلنسكي** ضمن جهوده النقدية النصوص الشعرية للشاعر الروسي **ليرمانتوف** بالطريقة ذاتها مركزا على المضامين وعلى الحمولات الإيديولوجية والاجتماعية، إذ يرى بأن نصوصه قد قدمت إجابات "عن قضايا الحياة ومعضلاتها المعاصرة الكبرى"[2]. وفي هذا النطاق أيضا عكف على تحليل أعمال الشاعر والروائي الروسي **غوغول**، إذ اهتم بالبعد الفكري في أعماله، والوقوف على خصائصه النوعية في كتابة الشعر والقصة والرواية، ومكانته في الأدب الروسي، ففي سياق دراسته رواية "النفوس الميتة"، التي عكس من خلالها الواقع الروسي، يرى بأنها رواية "كشفت عن التناقضات،...و [أنها] أهم عمل كتب عن الحياة الاجتماعية الروسية"[3].

وقد قارن بين الأعمال الأدبية **ليوشكين ولغوغول** الذي يجسد مرحلة نضج للأدب الروسي، إذ أعده "رائد لمدرسة أدبية جديدة هي المدرسة الغوغولية، عرفت فيما بعد باسم المدرسة الطبيعية"[4]. أي الواقعية الطبيعية الذي كان **بلنسكي** قائدها الفكري.

وختاما ننتهي إلى التأكيد على إسهامات الناقد الروسي **بلنسكي** في تطوير النقد الاجتماعي، إذ اتخذ من النصوص الإبداعية الروسية عينة لاقتراح تصوره النقدي الذي أسسه على "النظرة التاريخية–الاجتماعية إلى الإبداع الفني، وحكم على أهمية الأعمال الفنية بقدر ما تعكس هذه الأعمال الفنية الوقائع الحياتية بعمق وبصدق وبقدر ما تتطابق ومتطلبات الحياة"[5]، أي إنه تمثل المنهج التاريخي الاجتماعي في النقد الأدبي، وشعرية

---

1 –المرجع السابق، ص: 51.

2 –المرجع نفسه، ص: 13.

3 –المرجع نفسه، ص: 19.

4 –المرجع نفسه، ص: 19.

5 –المرجع نفسه، ص: 06.

الأعمال الأدبية في تصوره تلك التي تُضَمِّن المظاهر الاجتماعية، وتعبر عن القيم الفكرية واليومية، وتصور آمال الشعوب وآلامها تصويرا صادقا، وعلى الناقد أن يكشف عن المضامين الفكرية، وعن القضايا التي لها علاقة بالواقع الاجتماعي. ولعل الإضافة النوعية التي تميز بها **بلنسكي** تكمن في طرحه مسألة العلاقة المنسجمة بين النظرية والممارسة النقدية.

المراجع:

1) بيلنسكي: الممارسة النقدية، تر:فؤاد مركسي، مالك صقور، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982، ص: 05.

2) الزيدي، جواد: علم الجمال الماركسي وصورة فهم العالم. www.iraqicp.com. يوم: 2021/04/01.

3) قضماني، رضوان: بلنسكي (غيساربون غريغوريفتش)، الموسوعة العربية، www.arab-ency.com.

المحاضرة العاشرة: ألتوسير

-تمهيد.

1-لويس ألتوسير: النشأة والخلفيات المعرفية.

2-ألتوسير وقراءة الفكر الماركسي

3-النص الأدبي من منظور ألتوسير

4-ألتوسير والماركسية البنوية.

5-المنظومة المفاهيمية عند ألتوسير.

5-1-مفهوم الإيديولوجيا.

5-2-مفهوم أجهزة الدولة الايديولوجية.

5-3-مفهوم البنية ذات الهيمنة.

تمهيد:

سعت بعض الجهود الفلسفية والنقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، إلى إعادة النظر في الإرث الماركسي، الذي تبلور منذ أربعينيات القرن التاسع عشر، على صعيد مرتكزاته، وقضاياه، ومفاهيمه، ومنظوراته، بغية تعميقه، وضبط محمولات مفاهيمه، وتفسير الغامض منه، فحص قيمته العلمية والإنتاجية، المتعلقة بمنظورات كارل ماركس للاقتصاد السياسي من جهة، وعلاقة الأدب بالايديولوجيا والمجتمع والثقافة من جهة أخرى. ومن الثابت تاريخيا أن **ألتوسير** يعود له الفضل في إعادة قراءة الماركسية، وسعيه إلى تقديم فهم جديد لها، وإخضاعها لمقاربة تتواءم وروح عصره، مستلهما مرجعيات معرفية متباينة.

وفي هذا السياق نطمح إلى التعرف على **لويس ألتوسير**، وعلى خلفياته المعرفية، وإسهاماته في إغناء المنهج الاجتماعي، وفحص طبيعة رؤيته المنهجية، وتحديد منظوره للأدب، والكشف عن مفاهيمه وإضافاته النوعية.

1-لويس ألتوسير:النشأة والخلفيات المعرفية.

لويس ألتوسير Louis Althusser (1918-1990) فيلسوف ومنظر للفكر الماركسي، جزائري المولد، وفرنسي الأصل، تؤطر تفكيره الفلسفة المادية الجدلية، إذ استفاد من طروحات **هيغل Hegel** الفلسفية ونظريات **كارل ماركس Karl Marx** (1818-1883) التاريخية والاقتصادية الذي عكف على إعادة النظر فيها في إطار مشروعه الفلسفي، علاوة على استفادته من تصورات **فلاديمير لينين** السوسيولوجية، واستفادته من تصورات كل من **فرويد Freud وجاك لاكان Jacque lacan** المتعلقة باللاوعي، وتصورات البنيوية المرتهنة بموت المؤلف، ومبدأ التفاعل بين البنيات، الذي يحدد معناها، وعلى هذا الأساس شيّد **ألتوسير** تصوره الذي أدّى "بالارتباط مع البنيوية ومع تحليل جاك

لاكان (Jacque Lacan) (1901-1981) النفسي، إلى إحداث إنعطافة حادة في التقاليد الماركسية".[1]

ويمكن القول في هذا السياق فبالرغم من إيمان **ألتوسير** بالفكر الماركسي، فقد انتبه إلى إنتاجية البنيوية في النظر إلى البنية التي لا يمكن فهمها إلا في إطار تفاعلها مع باقي البنيات، وهكذا استطاع أن يعيد قراءة الماركسية برؤية جديدة. واللافت للنظر أنه قد استفاد أيضا –إضافة إلى الحلقات السالفة الذكر– في سياق قراءته الجديدة تلك من كتاب "نظرية في الإنتاج الأدبي" **لبيير ماشيري Pier Macherey** الصادر سنة (1966)، الذي كان له الأثر العميق في توجيه وتأطير معالجته مسألة الفن والإيديولوجيا[2].

ومن الضروري الإقرار في الحديث عن الخلفيات المعرفية التي شيّد عبرها صرح تصوره، بأنه قد استلهم مفهوم القطيعة الابستمولوجية الذي بلوره الفيلسوف الفرنسي **غاستون باشلار Gaston Bachelard** في إطار دراسته لمنجزات **كارل ماركس** الأولى وعلاقاتها بمنجزاته الأخيرة.

اتكاء على المعطيات السابقة يمكن القول إن المرجعيات المعرفية التي أطرت التفكير الفلسفي **لألتوسير** تتجلى في المعطيات الايديولوجية المتمثلة في الفلسفة المادية الجدلية والفكر الماركسي، وبين البنيوية وإواليالتها المتعلقة بمفهوم البنية، والتفاعل، والزمن، والإنسان، وبين المعطيات النفسية المتمثلة في مفهوم اللاوعي عند **فرويد** ولاوعي اللغة عند **جاك لاكان.**

1–بول آرون وآلان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، تر، مقلد، محمد على، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2013، ص: 40.

2–ينظر: سلدن رامان: النظرية الأدبية المعاصرة،ترجمة جابر عصفور،دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1998،ص:39.

2-ألتوسير وقراءة الفكر الماركسي: الرؤية المنهجية والرهانات المعرفية:

اهتم ألتوسير في مساره الفكري بنقد الفلسفة الماركسية، وما طرحته من أفكار ورؤى متعلقة بالمجتمع، وبالثقافة، وبالفن وبالأدب، وقد استطاع أن يطرح تصوراته في دراستين اثنتين، هما "قراءة رأس المال"، ودراسة "من أجل ماركس". وقد أكد الباحث **عبد الوهاب شعلان** في دراسته الموسومة بـ "القراءة الألتوسيرية البنيوية لماركس" إن **ألتوسير** توخى تحقيق أهداف معرفية عبر دراستيه السابقتي الذكر، ودراسات أخرى تتحدد في "تخليص الماركسية من أوهام الإيديولوجيا، وضبابية المثالية التي أغرقتها في متاهات البؤس النظري، ومن ثم اجتهد في إبراز الأطر العلمية والمنهجية التي تأسس عليها فكر ماركس في فترته الثانية، كما توخى تفعيل الفلسفة الماركسية الفرنسية، وإثراء الخطاب النظري الفرنسي الذي أوشكت أن تقضي السجالات السياسية والصراعات الايديولوجية"[1]. وهكذا شيّد **ألتوسير** مقاربته هذه على غايات معرفية تتمحور حول تقديم فهم جديد للفلسفة الماركسية بوصفها نظرية في الاقتصاد السياسي، والكشف عن قيمتها المعرفية، وتصحيح بعض المفاهيم السائدة حولها، تأتي رأسا مفهوم الدوغمائية، الذي سعى إلى نفيه عنها. كما سعى إلى تحديد الضوابط المعرفية التي تعد مرتكزات الماركسية. إن الوقوف على هذه الرهانات المستهدفة تؤكد وعي **ألتوسير** بضرورة تحيين الفكر الماركسي وطرح سؤال التجديد والكشف عن جوهره عبر إواليات تتميز بالإنتاجية.

وقد كان دافع **ألتوسير** لطرح سؤال التجديد في الفكر الماركسي مؤسسا على مسألتين إثنتين تتمثلان في[2]:

1-شعلان عبد الوهاب: القراءة الألتوسيرية البنيوية لماركس، موقع الحداثة وما بعد الحداثة، التاريخ: 14-03-2021، الساعة: 14:47.

2-مهيبل عمر، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، نقلا عن المرجع نفسه.

1–شعوره بالنقص النظري للفلسفة الماركسية في فرنسا، بفعل انصراف الماركسيين الفرنسيين إلى السياسة.

2–الرد على النزعة الإنسانية التي روج لها بعض الماركسيين الفرنسيين أمثال جارودي R.Garaudy، والتي رأى فيها ألتوسير إفقارا للماركسية، وتجاوزا لطابعها العلمي".

من هذا المنطلق فرغم إيمان **ألتوسير** بالفكر الماركسي إلا أن فكره ارتبط "ارتباطا واضحا بالبنيوية وما بعد البنيوية، ويرفض (...) حركة الإحياء الهيغلي داخل الفلسفة الماركسية"[1]، متبعا الصرامة العلمية التي فرضتها البنوية في التعامل مع الظواهر، وارتباطها بمفهوم النظام والعلاقات. وقد أجمع أغلب النقاد أنه قد اختار نمط القراءة الأعراضية symptomale في سياق محاورته تصورات **ماركس** حول العلاقة بين البنية الفوقية بوصفها تمثل كل النتاجات الفكرية، وبين البنية التحتية المتعلقة بكل الإنتاجات المادية، هذه العلاقة القائمة على مبدإ الجدلية.

فهي قراءة مرتهنة بالكشف عن الحقائق والمعاني المخفية عبر علامات نصية تؤشر عليها. وتكشف عن العلاقات القائمة بين البنيتين، وهي غير مصرح بها، والقراءة الأعراضية، يصطلح عليها الباحث التونسي **الذهبي اليوسفي** في كتابه " الأدب والايديولوجيا في النقد العربي الحديث" الصادر سنة 2016 بالقراءة الكَشْفية، والتي يؤكد بأنها القراءة التي سلكها **ألتوسير** في هذا السياق، وهي "القراءة التي لا تطمئن إلى ظاهر النص، بل تلك التي تحاول الكشف عن خفاياه"[2].

1–سلدن، رامان: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص: 70.

2–اليوسفي، الذهبي: الأدب والايديولوجيا في النقد الغربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2016، ص: 13.

فقد اعتمد **ألتوسير** على هذه القراءة لتفكيك خطاب **كارل ماركس** بوصفه خطابا عمّق البعد الفكري في النظرية الاجتماعية، وقد اتفقت دراسات عدة أن **ألتوسير** في مراجعاته قد أكد أن التفكير الفلسفي **لكارل ماركس** في بداياته متباين تماما عنه في نهايته، نظرا لتطور وعيه في النظر إلى القضايا الفلسفية، سيما في كتابه "رأس المال"، الذي خصصه لطرح "المفاهيم الأساسية لعلم الاقتصاد الانجليزي الكلاسيكي، وفقا لمعناها المحدد: القيمة التبادلية، الثمن، وقت العمل، إلخ... وكل التعريفات الأكثر تقدما، في ذلك الزمن، على أساس التجربة العلمية، ثم دمجها جميعا"[1]. وهكذا يمككنا القول إن إعادة قراءة ألتوسير للفكر الماركسي يؤشر على وعيه بضرورة مراجعة هذا المسار، وتحيين مفاهيمه.

3-النص الأدبي من منظور لويس ألتوسير:

إن تصور **ألتوسير** المتعلق بضرورة إعادة النظر في الفلسفة الماركسية، والوقوف على بعض المقولات التي تعد مرتكزاتها، دفعه إلى تحديد منظوره إلى النصوص الأدبية بوصفها "أماكن تعبر فيها الايديولوجيا عن نفسها من غير أن يكون الكاتب عن وعي بذلك"[2].

يتبيّن لنا من هذا التحديد أن **ألتوسير** تجاوز مفهوم **كارل ماركس** للأعمال الأدبية التي أعدّها انعكاسا للبنية التحتية ووظيفتها إيديولوجية، إذ إنه يرفض "معالجة الفن (والأدب) بوصفه شكلا من أشكال الإيديولوجيا، ويضع الفن -في ما كتبه بعنوان "رسالة في الفن"- في مكان يتوسط ما بين الإيديولوجيا والمعرفة العلمية. فالعمل الأدبي العظيم لا يزودنا بفهم ذهني عن الواقع، ولكنه في الوقت ذاته ليس مجرد تعبير عن إيديولوجية من الطبقات"[3]. أي إن الإنتاجات الأدبية لا تنقل إيديولوجيا ما، ولا تعبر عن ايديولوجيا الكاتب، وإنما تسعفنا في اكتشاف طبيعة الايديولوجيا التي تشكلت ضمنها.

1-فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت -وجهة نظر ماركسية، تر: خليل كلفت المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2004، ص: 6.

2-آرون، بول وفيالا آلان: سوسيولوجيا الأدب، ص ص: 40-41.

3-سلدن رامان: النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 71.

4-ألتوسير والماركسية البنيوية:

الماركسية البنيوية تصور علمي، بلوره المفكر **لويس ألتوسير**، نتيجة التغيرات السوسيوثقافية والتاريخية التي شهدها العالم منذ ستينيات القرن العشرين، مستفيدا من مفاهيم علم الاجتماع، والفلسفة الماركسية والتحليل النفسي، والبنيوية وما بعدها، منطلقا من المبادئ الأولى للماركسية الكلاسيكية، ساعيا إلى تحيينها وفقا لما يتطلبه العصر آنذاك، وخلخلة بعض مسلمات الفلسفة الماركسية السائدة كالنزعة الإنسانية التي رفضها في سؤال طرحه سؤال التجديد للفكر الماركسي، بوصفها "ارتبطت بالأعمال الأولى لماركس، لصالح بنيوية علمية لكتاب رأس المال"[1]. إذ إن النزعة الإنسانية تقوم على أن الفرد هو مصدر المعنى.

وفي مقابل خلخلته تلك سعى إلى خلخلة بعض المفاهيم وتصحيح بعضها إيمانا منه بمبدإ الدينامية المعرفية، من ذلك نفيه النزعة الدوغمائية على الفلسفة الماركسية، وتأكيده صفة العلمية لها، وتأكيد أيضا أن الماركسية البنيوية تندرج ضمن المرحلة مابعد الإنسانية -إن صح القول- ليؤكد علميتها نظرا لاهتمامها بما هو خارج الإنسان، وابتعادها عن التمركز حوله، إذ يرى **ألتوسير** بأن "الإنسان لا ينبغي أن يفهم كفاعل محدد لمصيره. بل هو عبارة عن مُنْتَج لبنيات وعلاقات اجتماعية... وأن الإيديولوجيا تتعامل مع الأفراد الحسيين كذوات محسوسة. ومن ثم فإن لها وظيفة بناء الأفراد الحسيين كذوات..."[2].

ومن هذا المنطلق فإن **ألتوسير** تبنى منظور كل من الماركسية والبنوية المتعلق بالأفراد وإلى مختلف الإنتاجات الصادرة عنها، إذ انتهى إلى أن "البنيوية تشارك الماركسية التسليم بأن الأفراد لا يمكن فهمهم بمعزل عن وجودهم الاجتماعي، فالماركسيون يؤمنون بأن الأفراد حاملون لأوضاع في النسق الاجتماعي. وليس فاعلين أحرارا، والبنيويون يؤمنون بأن الأفعال والأقوال الفردية لا تكتسب معناها إلا من الأنساق الدالة التي تنتجها، ولكن البنيويين

1-كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: بلقاسم جمال، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص: 77.
2-المرجع نفسه، ص: 195.

ينظرون إلى هذه الأنية الشاملة على أنها أنصاف لازمانية منتظمة ذاتيا، في حين أن الماركسيين ينظرون إليها على أنها أنساق تاريخية متغيرة مشحونة بالتناقضات"[1]. وهكذا كرّس جهده لنقد وتفكيك الفلسفة الماركسية، وإعادة النظر في معطياتها وكشف المضمر فيها الذي يكسبها صفة العلمية، ويمنحها خصوصية نوعية، مستندا على الفلسفة الماركسية، مستثمرا بعض إواليات البنوية وما بعدها.

5-المنظومة المفاهيمية عند ألتوسير:

أثار **لويس ألتوسير** جملة من المفاهيم الفلسفية، تؤشر على حرصه على إحداث نقلة نوعية في الفكر الماركسي، إذ تشكل مفاهيمه معالم تصوره في مسار النقد السوسيولوجي، ويمكن أن نذكرها إختصار على النحو الآتي:

أولا: الإيديولوجيا: Idéologie:

عرف مصطلح الإيديولوجيا تحولا دلاليا خاضعا للتغيرات السوسيوثقافية والتاريخية، وقد ارتبط مفهومه في الفلسفة الماركسية التي احتفت به، وتعددت رؤاها بتعدد رؤى أعلامها، الذين اهتموا بقضية الأفكار والطبقات، فالإيديولوجيا في الفكر الماركسي بمعناها الشمولي ارتبطت "بمفهوم البنية الاجتماعية والطبقية حيث إن كل طبقة تعبر عن مصالحها وسيادتها بمجموعة من الأفكار، وهذه الأفكار العامة المتعددة المظاهر والأبعاد (الحقوق، الأخلاق، الدين، الفن، الفلسفة) هي ما سيطلق عليه ماركس في كتابه "إسهام في نقد الاقتصاد السياسي) لاحقا كلمة إيديولوجيا، وهذه هي ما سيختصرها ماركس في المقدمة نفسها إلى الأشكال الايديولوجية"[2]، بمعنى مفهومها مرتبط بأشكال الفكر.

1-قطرس بسام: دليل النظرية النقدية المعاصرة، مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص: 68.

2-اليوسفي الذهبي: الأدب والايديولوجيا في النقد العربي الحديث، ص: 342.

وقد أسس **ألتوسير** مفهومه للايديولوجيا انطلاقا من مفهوم البنية الفوقية الايديولوجية، وعلاقة الأفراد بإنتاج الفكر، وقد طرحه في مقاله الموسوم بـ "الايديولوجية وأجهزة الدولة الإيديولوجية، نشره في كتابه "مواقف"[1]. ويعد الايديولوجيا في تصوره "مثل اللاوعي بُعْدٌ ملازم للعقل البشري وليس لها بهذا المعنى تاريخ، ما يعني أنه لا يجوز الخلط بينها وبين الايديولوجيات الخاصة، التي تُحدد وجهة المصالح الظرفية لجماعات اجتماعية محددة"[2]. وقد اعتمد على هذا المفهوم قصد التأكيد على أن "وعي الأفراد بظروف وجودهم هو الذي يشكل الانعكاس الحاصل في الايديولوجية، فهي ليست نظام العلاقات الذي يحكم وجود الأفراد فحسب، بل هي العلاقة الخيالية بين الأفراد وعلاقات الإنتاج التي يعيش هؤلاء في ظلها"[3]. بهذا المعنى فقد أكد بأن الإيديولوجيا مرتهنة بالعلاقة الخيالية بين الأفراد وظروف وجودهم من جهة، مرتهنة أيضا بوجودها المادي من جهة أخرى.[4]

ثانيا: مصطلح أجهزة الدولة الايديولوجية:

يعد هذا المفهوم من أعمق المفاهيم التي احتفى به **ألتوسير** في إطار الماركسية البنيوية منذ سبعينيات القرن العشرين، وقد اهتم به في سياق بلورته مفهوم الايديولوجيا إذ يرى بأنها "تتواجد ضمن جهاز معين وداخل الممارسات المرتبطة به، وحدد مجموعة من المؤسسات كأجهزة إيديولوجية للدولة، وهي الأسرة ونظام التعليم والكنيسة، ووسائل الإعلام الجماهيري"[5]. بهذا المعنى فإن الايديولوجيا تتجلى عبر مؤسسات الدولة المختلفة سواء أكانت مؤسسات تعليمية كالمدارس والجامعات، أو مؤسسات دينية كالمساجد والكنائس، أو مؤسسات ثقافية كالأدب والفن، وكذلك الإعلام، والقانون كالمحاكم مثلا أو أجهزة الدولة إلى

1-ينظر عيلان عمر: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2001، ص: 17.

2-آرون، بول، وفيالا ألان: سوسيولوجيا الأدب، ص: 40.

3- ألتوسير لويس: دراسات لا إنسانية، نقلا عن عيلان عمر الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ألتوسير، ص: 17.

4-ينظر عمر عيلان: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي،ص:17.

5-باركر، كريس: معجم الدراسات الثقافية، ص: 46.

صنفين اثنين، بناء على طريقة عملها، إما عن طريق القمع أو الايديولوجيا، فالصنف الأول يتمثل في أجهزة الدولة القمعية التي تؤدي عملها بواسطة القمع، أما أجهزة الدولة الإيديولوجية، فتؤدي عملها عن طريق الايديولوجيا.[1]

ثالثا: مفهوم البنية ذات الهيمنة:Structure a dominante

يعد مفهوم البنية ذات الهيمنة مفهوما مركزيا في التصور الألتوسيري، له عميق الأثر في تحديد منظوره للعلاقة القائمة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، و"قد تبين أن العلاقة بين هاتين البنيتين تتشكل هرميا، تبقى هذه البنية الهرمية مندرجة بشكل دائم. ولكن من يحتل قمتها، أي من يكون في موقع قيادي فيها، يتغير بصفة مستمرة، فقد يكون الاقتصاد مهيمنا، أو قد تكون السياسة مهيمنة... ولكن الاقتصاد هو الذي يحدد في آخر الأمر أي جانب يقود ويهيمن، وهذا ما كان يقصده ماركس عندما أشار إلى دور القاعدة الاقتصادية في إحداث تغيرات في البنية الفوقية عاجلا أو آجلا"[2]. بهذا المعنى فإن آلية الهيمنة هي التي تتحكم في العلاقة بين البنية التحتية والفوقية وفقا لتصور **ألتوسير**. وهي بنية تتميز بالدينامية ومرتهنة بتغيرات الظروف على تعدديتها.

وختاما، فمن دون شك أن جهود لويس ألتوسير تكتسي عميق الأهمية في النظرية السوسيولوجية، رغم ما لقيت من انتقادات عدة. إلا أنها أسهمت في تطوير بعض مفاهيم الفلسفة الماركسية، واستجلاء قيمتها المعرفية.

---

1) 1- عمرو خيري:الايديولوجيا و أجهزة الدولة الايديولوجية نقالا عن الترجمة الانجليزية ل بريوستر، بين: لينين والفلسفة ومقالات أخرى، http//qira2at.com

2-اليوسفي، الذهبي: الأدب والايديولوجيا، في النقد العربي الحديث، ص: 351.

المراجع:

1)بول آرون وآلان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، تر، مقلد، محمد على، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2013.

2) سلدن، رامان: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

3) شعلان عبد الوهاب: القراءة الألتوسيرية البنيوية لماركس، موقع الحداثة وما بعد الحداثة، التاريخ: 14-03-2021، الساعة: 14:47.

4) عيلان، عمر: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2001.

5). عمرو خيري:الايديولوجيا و أجهزة الدولة الايديولوجية نقالا عن الترجمة الانجليزية ل بريوستر، بين: لينين والفلسفة ومقالات أخرى، http//qira2at.com

6) فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت –وجهة نظر ماركسية، تر: خليل كلفت المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2004.

7) قطرس بسام: دليل النظرية النقدية المعاصرة، مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2016.

8) كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: بلقاسم جمال، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

9) مهيبل عمر، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر.

10) سلدن رامان: النظرية الأدبية المعاصرة،

11) اليوسفي، الذهبي: الأدب والايديولوجيا في النقد الغربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2016.

المحاضرة الحادية عشرة: أنتونيو غرامشي: المثقف والمجتمع

- تمهيد.

1- أنتونيو غرامشي: النشأة والخلفيات المعرفية.

2- الفكر الغرامشي: المرتكزات والمنظومة المفاهيمية

أولا: الايديولوجيا.

ثانيا: المثقف: الماهية والأنواع، والنموذج والسلطة.

ثالثا: الهيمنة الثقافية.

رابعا: البراكسيس.

- تمهيد:

كرّس الفيلسوف الإيطالي **أنتونيو غرامشي** جهده -إلى جانب **لويس ألتوسير** بوصفه صوتا فكريا معاصرا- لإعادة النظر في الفكر الماركسي، وتحيينه في ضوء التغيرات التي أحدثها الفكر التنويري في خارطة الفكر الإنساني في القرن العشرين. إذ طرح بوعي عميق وبإلحاح كبير مسائل فلسفية وتاريخية عدة، بغية تقديم تصور فلسفي للمجتمع ببنياته وأنساقه، والسعي إلى تفعيله عمليا، وفي هذا النطاق أثار أسئلة متعلقة بالثقافة، والسياسة، والمثقف وعلاقته بالمجتمع ووظيفته، ووعيه بدوره، ونموذجه الحقيقي. فهذه المسائل وغيرها هي التي نشيّد عبرها هذه المحاضرة للتعرف على إسهامات **غرامشي** في تطوير النقد السوسيولوجي، والكشف عن إضافاته النوعية.

1-أنتونيو غرامشي: النشأة والخلفيات المعرفية

أنتونيو غرامشي Antonio Gramsci (1891-1937) المفكر الماركسي، والفيلسوف السياسي والناقد المسرحي والكاتب الصحفي الإيطالي، ولد في سردينيا جنوب إيطاليا، اهتم بدراسة علم اللغة رغم ظروفه الصحية والاجتماعية، تؤطر أفكاره الفلسفة الماركسية، كان عضوا في الحزب الاشتراكي الايطالي 1913، نشر عديد المقالات تتمحور حول فلسفة المجتمع، الثقافة والمثقف، الحركة الفاشية، ماركس، لينين، الثورة الفرنسية. ونظرا لجرأة طرحه ومناقشته قضايا مثيرة للجدل آنذاك، سجنه **موسوليني** من عام 1926 إلى غاية 1937. ألف كتبا في السجن عنوانها "مذكرات السجن" أو "دفاتر السجن" التي ترك عبرها تصوره الفلسفي للمجتمع.[1]

1-ينظر هشام، مصطفى: "مدخل إلى قراءة فكر أنطونيو غرامشي، موقع إضاءات، https//www.ida2at.com .2021/03/17

3-الفكر الغرامشي: المرتكزات والمنظومة المفاهيمية:

اتخذ المفكر **غرامشي** على عاتقه ضرورة خوض معارك فكرية فرضها واقعه الراهن، نتيجة التحولات التي شهدتها الرأسمالية من تطور، وما أحدثته من تغيرات على صعيد المجتمع والفرد بوصفه منتجا داخل فئته المجتمعية، إذ وجّه كل اهتمامه صوب النظرية الاجتماعية، اهتمام ناجم عن وعي عميق بتجديدها وتطويرها، فاستند على الفلسفة الماركسية كمؤطر معرفي لأفكاره وتصوراته، قصد تبرير مشروعية طرحه، إذ تجده يقدم لها نقدا، ويتجاوز بعض أفكارها طارحا البدائل في سياقات، وانطلق من واقع الفضاء الإيطالي كعينة يطبق عليها تصوره، ويبلور مشروعه، نظرا لانتباهه إلى طبيعة النظام السائد في إيطاليا وخارجها، والوقوف على الاختلافات الجوهرية بين مجتمع الشمال ومجتمع الجنوب وعلاقتهما، وبين المدن والأرياف ومدى وعي النخبة بدورها وإسهامها في دينامية التشكيل الايديولوجي للمجتمع وهيمنتها عليه، وشروط تحقق ذلك. وفي هذا النطاق راهن على أفكار مركزية ومفاهيم محورية أثثت منظوره المتعلق بتحديد النظرية الاجتماعية، ويمكن أن نوجزها على النحو الآتي:

أولا: الإيديولوجيا:

الإيديولوجيا من مقولات الفلسفة الماركسية، التي أثارها المفكر **غرامشي**، في إطار طرحه إشكالية العلاقة القائمة بين البنى التحتية والبنى الفوقية، ويحددها في الفن والقانون والنشاط الاقتصادي، وفي جميع ظاهرات الحياة الفردية والجماعية"[1]. أي إنها نسق من الأفكار تتضح عبر وسائل متعددة. فهي إلى جانب كونها كذلك، فهي أيضا "تتضمن تشكيلة منظمة من المعتقدات والمظاهر السلوكية المحددة لسياق خاص من المعاملات والممارسات

1-عيلان، عمر: الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ص: 23.

والعادات. وهذه المظاهر تمارس التأثير والتأثر للعلاقة الدينامية والجدلية بين الأفراد وأفكارهم المتولدة من تفاعلات الواقع التي تعود لتؤثر فيه ثانية، بعد أن كان قد أنتجها"[1].

بهذا المعنى فإن منظور **غرامشي** للايديولوجيا يتحدد في كونها مجموعة أفكار صادرة من فئة محددة، تعكس رؤيتها للعالم، تؤطر عادات الفرد داخل المجموعة، وتضبط سلوكاته، تمتاحها هذه المجموعة من الواقع ومعطياته المتباينة، وتخضع هذه الأفكار لتحولات الواقع، إذ كلما تغير الواقع سياسيا، واقتصاديا وثقافيا تغير ايديولوجيا الأفراد التي أنتجوها، لأنهم على وعي بوجودهم، وهكذا منح **غرامشي** صفة الدينامية على الايديولوجيا.

ثانيا: المثقف: الماهية، والأنواع والنموذج والسلطة

يعد مفهوم المثقف قطب الرحى في المشروع الفكري الغرامشي، إذ إنه انطلق من الواقع، تقويضا للفكر الماركسي، وليصوغ مفهوما مغايرا للمثقف، عن المفهوم التقليدي الراسخ، إيمانا منه بأهميته كفرد ضمن مجموعة اجتماعية، يسهم في إحداث تغيرات على الصعيد السياسي والاجتماعي، والثقافي في المجتمع. فقد شيّد تصوره على طرح جملة من الأسئلة الجوهرية المتعلقة بـ: ماهية المثقف، ودوره، وعلاقته بالمجتمع، وعلاقته بالهوية، مدى استقلاليته عن المجتمع السياسي، وعيه الاجتماعي والثقافي، ونموذجه، وأدوات سلطته. إذ يرى بأن المثقف هو "الوجه الآخر للسياسي والمشروع البديل عنه"[2]. بهذا المعنى فإنه يتصور المثقف الحقيقي يحمل مشروعا يسهم عبره في دينامية المجتمع، وعليه أن يفرض إديولوجيته على المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، كما يفرضها على باقي المجموعات الاجتماعية مستخدما في ذلك سلطته النوعية، بهدف الهيمنة على المجتمع السياسي والمجتمع المدني.

1-المرجع السابق، ص: 23.

2-حرب، علي: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1996، ص: 20.

وتتجلى سلطة المثقف عبر "سلطة الكلام أو الكتابة، ويعمل في حقل الإنتاج الرمزي، أي ينتج أو يستخدم هذه السلع الرمزية المتمثلة بالعقائد، والمعارف، أو بالنصوص والخطابات، أو سواها من الحطابات الثقافية"[1]. وتأسيسا على هذا التصور يمكننا الإشارة إلى أن المفكر الإيطالي قد اهتم بالفرد/الذات الاستثنائي داخل الطبقة الاجتماعية التي ينخرط فيها، مرتكزا في ذلك على مسألة الوعي بذاته، وبواقعه الراهن، ومتغيراته، ليسهم في تعميق الوعي الجماعي، وإنتاج فكري يغيّر عبره واقعه، ويهيمن على باقي الطبقات من خلال فرضه إيديولوجيته ورؤيته للعالم.

وفي مقابل استخدام المجتمع السياسي السلطة المادية كآلية للهيمنة، ألّح **غرامشي** على ضرورة استخدام المثقف السلطة الرمزية كأداة للهيمنة، وصياغة إنتاجات وظيفية. وتحيلنا قضية المثقف وسلطته من منظور **غرامشي** إلى الإشارة إلى أنه، قد اهتم في سياق مشروعه الثقافي، بطرح أسئلة متعلقة بالأدب، وبعلاقته بالواقع وبالايديولوجيا وبوظيفته، بوصفه خطابا رمزيا، ونتاجا من النتاجات الثقافية، يستخدم اللغة وسيلة يعبر من خلالها على ايديولوجيا المبدع، وبما أن المبدع يندرج ضمن طبقة المثقف، والمثقف الحقيقي ينطلق من الواقع لنقده وتغيره، كذلك الأدب مرتبط بالواقع الذي يوفر له الموضوعات والمضامين، وعلى المبدع أن ينتج نصوصا منطلقة من الواقع، تخلخل السائد، وتبحث عن البدائل قصد تغيير المجتمع، وعلى هذا الأساس، فالنص الأدبي خطاب واع بذاته، وثيق الصلة بواقعه، واع بقضاياه، ساع إلى تحوير المجتمع.

وقد قسّم **غرامشي** المثقفين إلى نوعين اثنين، بناء على وعيهم بوظيفتهم وفعاليتهم في تغيير المجتمع؛ مثقفون تقليديون "كالمعلمين، والكهنة والإداريين، وهم الذين يستمرون في أداء ذلك العمل نفسه جيلا بعد جيل"[2]. أي إنهم مثقفون انسحبوا من المجتمع، ولم يؤدوا

1-المرجع السابق، ص: 20.

2-سعيد، ادوارد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص: 34.

أدوارهم المنوطة بهم، ومهمتهم لا تكمن في تغيير المجتمع، وإنما في المحافظة على ايديولوجيا الطبقة السائدة.

أما النوع الآخر فيتمثل في المثقفين العضويين، كونهم "يظهرون إلى الوجود بظهور طبقة اجتماعية ناشئة، ولكنهم فيما بعد يجابهون فئات ثقافية "تقليدية" تحيا في الشروط والأوضاع الاجتماعية السابقة، ويكونون بحاجة إلى التقلب عليها، وتمثلها، واستيعابها"[1]. بهذا المعنى بالمثقف العضوي، منخرط في طبقته، واع بمهامه، يساهم في تغير الواقع بآليات رمزية، يعمّق الوعي الاجتماعي والوعي الثقافي، والوعي السياسي، يدافع عن قضايا مجتمعه بفكره، وإنتاجاته، فلزاما عليه أن يكون "مندمجا في المجتمع، حاملا هموم الطبقة أو الأمة أو البشرية"[2].

وهكذا فإن وظيفة المثقف العضوي اجتماعية قيادية، ناجمة عن نضجه الفكري بضرورة تغيير الواقع، وقد اقترح **غرامشي** نموذجا للمفكر/المثقف العضوي، وهو "نموذج المفكر المرتبط عضويا بتطور ونمو التنظيم السياسي للطبقة العمالية، وهذا النموذج الجديد للمفكر القائد ليست له أية علاقة ببعض الأشكال التقليدية للزعماء السياسيين"[3]. لقد شيّد **غرامشي** مقولة المثقف العضوي انطلاقا من عزوف المثقف التقليدي عن أداء دوره من جهة، وإيمانه بالدور الاجتماعي والفكري العميق، الذي يؤديه المثقف العضوي في تغيير المجتمع، ونقد وتحليل الأوضاع الاجتماعية، والسياسية والثقافية، فهو مثقف دينامي على خلاف المثقف التقليدي سكوني.

1-إيغلتون، تيري: النقد والايديولوجيا، تر: فخري، صالح، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016، ص: 203.

2-حرب، علي: أوهام النخبة، ص: 33.

3-كارلوس، لنياري، ماريو يوسيبيلا: فكر غرامشي 2، تر: نجيب الشيخ على، دار الفرابي، بيروت، 1978، ص: 164.

وهكذا فقد سعى **غرامشي** إلى تفكيك الفلسفة الماركسية، وتشييد مشروعا فلسفيا، يخلخل عبره المفاهيم السائدة، منطلقا من الواقع الذي يعد أحد إضافاته، علاوة على دعوته إلى تفعيل الممارسة والتطبيق لكل الطروحات النظرية، وبلورته مفاهيم متناسلة من بعضها البعض تؤطرها المساءلة الابستمولوجية.

ثالثا: مفهوم الهيمنة الثقافية:

يعد مفهوم الهيمنة الثقافية من المفاهيم التي تؤثث تصور **غرامشي** الفكري، طرحه في سياق تجديده النظرية السوسيولوجية، ومناقشته مفهوم: المثقف، وظيفته، ومفهوم الدولة بوصفها "نسيج عضوي–شديد التعقيد لها دور كبير في السيطرة على المجتمع وإعادة تشكيله"[1]. إلى جانب مفهوم المجتمع المدني الذي أدرجه ضمن البنية الفوقية، خلافا **لكارل ماركس** الذي صنفه ضمن البنية التحتية، ويرى **غرامشي** المجتمع المدني هو "شبكة أفقية من المنظمات والعلاقات المهيمنة تنتظم في الحياة الاجتماعية مثل النقابات، الأحزاب، الصحافة، المدارس... باختصار كل ماهو خارج سلطة الدولة"[2]. وهكذا نفى **غرامشي** صفة الإخضاع عن المجتمع المدني كصفة تأسس عليها منظور **كارل ماركس**.

ويقصد **غرامشي** بالهيمنة "استراتيجيات يتم من خلالها الحفاظ على وجهات نظر كونية، وقوة الفئات الاجتماعية المسيطرة"[3]. إذ تسعى طبقة فرض ايديولوجيتها على باقي الطبقات. وركز **غرامشي** على الهيمنة الثقافية بوصفها هيمنة فكرية معنوية، مقابل الهيمنة المادية. واللافت للنظر أن المفكر **غرامشي** كما أشار الباحث **حيدر علي سلامة** في مقاله "غراماتولوجيا الهيمنة عند غرامشي من بلاغة المثقف التقليدي إلى بلاغة المثقف العضوي" قائلا: "لم يكن يبحث في طبيعة الهيمنة بوصفها أنطمة استراتيجية تشكل النظرية السياسية

1–هشام، مصطفى: مدخل إلى قراءة فكر أنطونيو غرامشي.

2–المرجع السابق.

3–كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، ص: 388.

من جهة، وبنية النظام السياسي/السلطوي من جهة أخرى، بل العكس من ذلك، أن غرامشي عمل على قلب هذه العملية وذلك من خلال سعيه الدؤوب والمستمر إلى التعامل مع هذا المفهوم بوصفه نظرية بحث عن سلطة اللغة والخطاب، وإكراهات إنتاج المعنى وإيديولوجيا تشكيل الذوات الإنسانية بواسطة تقنيات البلاغة والإقناع، حيث تغدو الهيمنة هنا ممارسة إقناعية بامتياز يتحدد فضاء تشكلها بين الرضى والقبول، والطواعية والإكراه المستمر"[1] .

رابعا: البراكسيس praxis

مفهوم طرحه **غرامشي** في إطار بلورة مشروعه الفلسفي،القائم على تفكيك الفلسفة الماركسية، والسعي إلى تفعيل بعض المفاهيم وتحيينها، إذ أسس تصوره لهذا المفهوم على مسألة عدم تفعيل المعطيات النظرية،التي تؤطر المجتمع. وفي هذا النطاق دعا بإلحاح إلى ضرورة ترجمة تلك المعطيات على أرض الواقع، واختبار فعاليتها وتحقيق مبدأ الانسجام والملائمة بين المعطيات النظرية التي يسنها المفكرون كضوابط تؤطر طبقات المجتمع، وبين الممارسة التطبيقية لها. إذ تجده يؤكد بأن فلسفة البراكسيس تحقق مبدأ الانسجام بين النظرية والتطبيق، وأيضا مؤشر حقيقي على أن المسائل النظرية المطروحة مؤسسة على قضايا المجتمع السائدة.

وفي هذا السياق يشير الناقد الجزائري **عمر عيلان** في كتابه "الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي" إلى أن الأفكار المعتنقة تكون "تعبيرا عن العلاقات والنشاطات الواقعية للأفراد، وتنظيماتهم السياسية والاجتماعية، ولكي تصدق هذه المقولة يجب توافر ما مايسميه غرامشي "الوحدة الايديولوجية" التي توفق بين المستوى التنظيري عند المفكرين وبين مستوى الناس البسطاء الذين يعتنقون النظرية المطروحة، ليكون الانسجام هو السائد، وهو الموجه للرؤية الإيديولوجية الشاملة. فالعنصر الحاسم في عملية البناء الثقافي والاقتصادي للمجتمع

1–سلامة، حيدر على: غراماتولوجيا الهيمنة عند غرامشي من بلاغة المثقف التقليدي إلى بلاغة المثقف العضوي، مجلة الثقافة الجزائرية.

حسب المنظور الايديولوجي المرتكز فلسفيا على تصور للعالم هو البديل عن الانفصال الواقعي بين النظرية والتطبيق، والذي لا يتأتى حسب رأيه إلا من خلال ما يسميه "الفلسفة الإجرائية البراكسيس""[1].

وهكذا طرح **غرامشي** هذه المسألة ليمنح مشروعه الفلسفي البعد العملي، نظرا لانتباهه إلى الأسباب التي أسهمت في إحداث شرخ بين التصورات النظرية المتعلقة بالواقع، وبين ممارسات الإنسان، إذ انتهى إلى أنه من الضرورة بمكان أن تُستمد تلك التصورات من الواقع، وأن تعزز بالتطبيق كمطلب أساسي، يؤشر على الترابط بين النظرية والتطبيق، ووعي الفرد بمتغيرات الواقع، واتصاله بما ينتجه من أفكار وأشياء.

وختاما فقد أسهم غرامشي في تطوير وتعميق القضايا الفكرية والنقدية المتعلقة بالنقد الاجتماعي،من خلال محاورته الابستيمولوجية، وبلورته نمذجة متعلقة بالمثقف وعلاقته بالمجتمع.

1-عيلان، عمر: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ص: 24.

المراجع:

1) إيغلتون، تيري: النقد والايديولوجيا، تر: فخري، صالح، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016.

2) حرب، علي: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1996.

3) سعيد، ادوارد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

4) سلامة، حيدر على: غراماتولوجيا الهيمنة عند غرامشي من بلاغة المثقف التقليدي إلى بلاغة المثقف العضوي، مجلة الثقافة الجزائرية.

5) عيلان، عمر: الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي.

6) كارلوس، لنياري، ماريو يوسيبيلا: فكر غرامشي 2، تر: نجيب الشيخ على، دار الفرابي، بيروت، 1978.

7) كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية.

8) هشام، مصطفى: مدخل إلى قراءة فكر أنطونيو غرامشي.

9)هشام، مصطفى: "مدخل إلى قراءة فكر أنطونيو غرامشي، موقع إضاءات، https//www.ida2at.com 2021/03/17.

المحاضرة الثانية عشرة: سلامة موسى

- تمهيد.

1- سلامة موسى النشأة والخلفيات الفكرية.

2- سلامة موسى: التصور المنهجي والقضايا النقدية.

3- الأدب ووظيفته من منظور سلامة موسى.

-تمهيد:

انفتحت الحركة النقدية العربية في ضوء معادلة المثاقفة على معطيات النظرية النقدية الغربية، عبر مراحلها التاريخية، مستهلمة تصوراتها ومفاهيمها، بغية تأسيس خطاب نقدي يواكب مستجدات النظرية الغربية، وصياغة رؤية نقدية تتماشى والتصورات الجديدة وتستجيب للتحولات التي عرفها الفكر النقدي العالمي، وتكشف عن وعي الناقد العربي بضرورة تحديث تصوراته المنهجية وأدواته الإجرائية.

وقد تمثّل عصبة من النقاد العرب النقد الاجتماعي في صورته الأول فآمنوا بالمنحى السوسيولوجي، وراهنوا على ضرورة تجاوز مقولة الفن للفن، والتركيز على واقعية الأدب. إذ هيمن النقد الواقعي على الفكر النقدي العربي منذ أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، و"ترافق ازدهار هذا التيار النقدي مع التطورات الاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم العربي في أواسط هذا االقرن، والتي تمثلت بحركات التحرر القومي من الاستعمار وبناء الأقطار العربية باستلهام بعض النماذج السياسية والإيديولوجية السائدة في العالم آنذاك"[1].

بهذا المعنى فقد استجاب النقد الأدبي للمتغيرات التي شهدها المجتمع العربي و"قد تجلّت بوادر المنهج الاجتماعي النظري بصورة خاصة -في الأحاديث والمناقشات- بل المعارك الأدبية والفكرية التي دارت بين زمرة من الأدباء والنقاد (أحمد أمين، سلامة موسى، أمين الخولي، توفيق الحكيم،...) حول موقف الأدب العربي قديمه وحديثه من المجتمع. وقد وازنوا بين أدباء العربية، وأدباء أوروبا نتيجة الاطلاع المتزايد على الآداب العالمية، وخلصوا من هذه الموازنة إلى أن من عوامل قوة الأدب الأوروبي أنه استطلاع أن ينهض بعبء

1-الرويلي، هيجان والبازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2007، ص: 370.

الإصلاح الاجتماعي"[1]. وقد تجلى المنهج الاجتماعي علاوة على ذلك في الكتابات النقدية العربية عبر "تفاعل الرؤيتين الاجتماعية والتاريخية تفاعلا بسيطا يستمد مرجعيته النقدية من سانت بيف وهيبوليت تين بوجه خاص"[2].

وانطلاقا من هذه المعطيات يتضح أن الناقد العربي لم يكن بمنأى عن تطور الحركة النقدية العالمية، وكرسّ جهده لتفعيل المشهد النقدي العربي، والإسهام بالتعريف بأهم التصورات التي تبحث في علاقة الأدب بالمجتمع، وبدور الأدب من هذا المنظور، وقد كانت الدراسات البواكير التي عرّفت القارئ العربي بالمنهج الاجتماعي الذي تؤطره الفلسفة الماركسية والفكر الاشتراكي في جانبها النظري، على صورة معارك أدبية وفكرية بين مؤيدي الفكر الماركسي، وبين مؤيدي الفكر التقليدي والفكر المثالي، وقد تأسست تلك المعارك على الغايات التي يضطلع بها الأدب وعلاقته بالحياة والواقع. وقد كانت الرؤى ذات المنحى السوسيولوجي شكلا من أشكال التعريف بالمنهج الاجتماعي في صورته الجدلية، وترسيخا لهذا المنهج في خطابنا النقدي، بوصفه مقاربة، لا عهد له بها من قبل، مرتهنة بمقولات الفكر الماركسي.

وتندرج هذه المحاضرة في إطار الوافد الغربي على خطابنا النقدي العربي، التي تتغيا فحص كيفية تلقي الناقد العربي المنهج السوسيولوجي رؤية وإجراء. ويعد الناقد المصري **سلامة موسى** من المفكرين الرواد الذين تشبّعوا بالفكر الاشتراكي في العالم العربي. وسعوا إلى نقله وتعريف القارئ العربي بمرتكزاته. وفي هذا النطاق تستثيرنا هذه الأسئلة: من يكون **سلامة موسى؟** ما خلفياته المعرفية؟ ما المقولات النقدية التي مارس في ضوئها عملية النقد الاجتماعي؟ ما طبيعة مصطلحاته؟ ما خصوصية النوعية؟

1-عكاشة، شايف: اتجاهات النقد المعاصر في مصر، نقلا عن عباس محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، جهود التأسيس، دار القدس العربي، وهران، 2015، ص: 141.

2-أوغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002، ص ص: 40-41.

1- سلامة موسى: النشأة والخلفيات الفكرية:

يعد **سلامة موسى** (1887-1954) رائدا من رواد المنهج الاجتماعي في العالم العربي وفي مصر حصرا، تشبّع بالفكر الاشتراكي الذي تعرّف عليه مباشرة في فرنسا، تأثر بفيلسوف الثورة الفرنسية **فولتير**، وتأثر أيضا **بداروين**، اطلع على أفكار **كارل ماركس**، سيما كتابه "رأس المال"، كان منبهرا بالثقافة الغربية، أصدر عديد المجلات والكتب أهمها: المجلة الجديدة، وكتب: "الاشتراكية في العالم العربي"، و"مقدمة السوبرمان" و"حرية العقل في مصر"، و"الحرية وأبطالها في التاريخ"، و"الأدب للشعب" وغيرها[1]. إذ عاش في مرحلة تعرف حالة من عدم الاستقرار في العالم العربي، وتعجّ بأفكار متباينة، فهذه الظروف أسهمت في توجيه مساره الفكري والنقدي. وإلى جانب إيمانه بالفكر الاشتراكي فقد آمن أيضا باتجاه التحليل النفسي، إذ يقر في كتابه "الأدب للشعب" وفي سياق طرح تصوره للأدب ووظيفته، بأنه استلهم إواليات التحليل النفسي قائلا: "...بل إننا بما ثقفنا من المعارف السيكولوجية، تعرف أنه حين يصدر الأديب كتابا للشعب، فإنما يصدر نفسه... وأنه إذا يحب الشعب فإنه يكتب له في بلاغة شعبية"[2]. تبنى في كتابه السابق الذكر النظرية السوسيولوجية، أفصح عبره عن اقتناعه الفكري، ومساره النقدي مؤكدا ضرورة تجاور التيار الرومانسي، وتبنّي التيار الواقعي نظرا لفعاليته وراهنيته، ورفض الأدب القديم، ودعا إلى أدب يحاكي الحياة الاجتماعية، منتقدا **العقاد، طه حسين، سامي البارودي، المازني، محمد حسنين هيكل، أحمد شوقي**، وغيرهم.

2- سلامة موسى: التصور المنهجي والقضايا النقدية:

تمثّل **سلامة موسى** الفكر الاشتراكي، وتبنى المنهج الاجتماعي وعيا منه بعجز المقاربة التقليدية على استكناه حقيقة الأدب، وإهمالها مرجعيته، إذ انطلق في قراءته النص

1-ينظر عاشور مصطفى، سلامة موسى في الميزان HTTPS://archive.volamanline.net

2-موسى، سلامة: الأدب للشعب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ص: 13.

الأدبي من المجتمع المصري و"ماكان يكتنف هذا المجتمع من مشكلات اقتصادية واجتماعية، وسياسية، وفكرية، وماكان يزخر به أيضا من طموحات وأحلام وتغير"[1]. وأسهم بشكل جلي في بلورة النقد الواقعي في العالم العربي، مواجها عبره الفلسفة المثالية، والرؤية النقدية المرتهنة بأطروحة الفن للفن، وعمل على بسط تصوره المنهجي عبر منجزاته، التي أطرتها الرؤية السوسيولوجية، وتحكّمت فيها مقولات عدة، أهمها: ماهية الأدب، ووظيفته، وماهية الإنسان والأديب، وقضايا الحرية، والمساواة، والعدل، ورفض الآداب القديمة، واهتمامه بالآداب المرتبطة بقضايا المجتمع، وتجاوز الفلسفة المتباينة والتيار الرومانسي.

ويستمد الناقد **سلامة موسى** معالم رؤيته المنهجية من الفكر الماركسي، ومن هذا الإطار يتخذ مفهوما للإنسان/الأديب–مثلا– بوصفه "الفاعل والمنفعل بالأدب، ليس كينونة ميتافيزيقية، وإنما هو محصلة علاقاته الحياتية والاجتماعية، وعليه فعالم الأدب ليس قطعا عالم الوهم، وإنما هو عالم يجد سنده في الواقع العيني لحياة الإنسان الأديب"[2]، وبهذا المعنى يتبيّن أنه يدعو الأديب إلى تحديد رؤيته للعالم، وموقفه الايديولوجي.

3– الأدب ووظيفته من منظور سلامة موسى:

أسس **سلامة موسى** تصوره للأدب على مدى تشخيصه قضايا المجتمع، لذلك تجده يدعو الأديب إلى ضرورة التعبير عن قضايا مجتمعه المعاصر آنذاك، على هذا الأساس رفض أطروحة اتخاذ التراث العربي نموذجا تحاكيه الأعمال الإبداعية، وحث المخيّلة العربية على جعل الواقع مرجعية النصوص الإبداعية، كما رفض أيضا معايير البلاغة العربية في نقدها النصوص. وبناء على هذا الطرح، فالناقد **سلامة موسى** على صعيد ممارسته النقدية "لا يبدي اهتماما بالعنصر الجمالي للعمل الأدبي، ويرى أن الكاتب كلما اهتم بالشكل ابتعد

1–عباس، محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، ص: 148.

2–المرجع السابق، ص: 145.

عن خدمة المجتمع، وأن هذا تطرف في تغليب الغرض الاجتماعي في المضمون على الغرض الجمالي"[1].

ففي سياق مقارنته بين الأدب الانجليزي والأدب المصري وفقا لمدى ارتباط العمل الأدبي بالمجتمع، تساءل عن ماهية الأدب الرفيع، مقدما إجابة، مؤداها أن الأدب الرفيع "هو التنقيب عن معنى الحياة ودلالتها، وهو البحث عن طبيعة الكون، وهو إقناع الإنسان بأن يكون إنسانيا، وهو ابتكار القيم الجديدة، تأخذ مكان القيم القديمة، وتزيد الدنيا والبشر جمالا وسعادة"[2]. أي إنه الأدب الذي يجسد الحياة وتمفصلاتها، ويعكس الإنسان وأفكاره، ويكسر نمطية الأداب القديمة، ويشيد نصا تحكمه معايير مغايرة مستمدة من المجتمع، متمحورة حول مشكلات الشعوب، وآمالها وآلامها. ومن ثمة ينظر إلى الأديب من زاوية الالتزام، فهو في تصوره "مسؤول، ومسؤوليته أمام المجتمع، والإنسانية، فيجب أن يقف على الدوام ضد الحرب، والاستعمار، وضد الاستغلال، وضد احتقار المرأة."[3]

وانطلاقا من ماهية الأدب والأديب فقد حصر وظيفة الأدب في الوظيفة الأخلاقية والاجتماعية، وجعل تغير المجتمع مرتبطا بالدور الذي يؤديه في معالجة قضاياه، وفي هذا النطاق يحدد دور الأدب في كتابه "الأدب للشعب" قائلا: بأن الأدب "يهدف إلى الأخلاق العليا"[4]. بهذا المعنى حصر وظيفته في مسألة الإصلاح الاجتماعي نظرا للظروف السياسية والاجتماعية التي شهدها العالم العربي آنذاك.

وهكذا فقد كانت جهود الناقد **سلامة موسى** في نقل التصور الاجتماعي الجدلي، والتعريف بمرتكزاته إلى العالم العربي، عبر طروحاته القائمة على أساس تحديد رؤية جديدة للعمل الأدبي، وضبط وظيفته، وتفكيك الرؤى النقدية السائدة، وإهماله القيم الجمالية أثناء

1-مهدي، أحمد عبد الحميد: في النقد الأدبي الحديث: المنهج الاجتماعي ورواده، http://maarifa maroc.blogspot.com

2-موسى، سلامة، الأدب للشعب، ص: 11.

3-المرجع السابق، ص: 17.

4-المرجع نفسه، ص: 12.

الممارسة النقدية، و الكشف على التوجه الايديولوجي للأديب، وفحص انعكاس القضايا المجتمعية داخل العمل الأدبي.

المراجع:

1) أوغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002، ص ص: 40-41.

2) بيير باربيريس وآخرون: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص: 178.

3) عباس، محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، ص: 148.

4) مهدي، أحمد عبد الحميد: في النقد الأدبي الحديث: المنهج الاجتماعي ورواده، http://maarifa maroc.blogspot.com

5) الموسى أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، ص: 344.

6) موسى، سلامة: الأدب للشعب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ص: 13.

ينظر عاشور مصطفى، سلامة موسى في الميزان HTTPS://archive.volamanline.net

المحاضرة الثالثة عشر: التنظير الواقعي مع حسين مروة

- تمهيد.

1- حسين مروة: حياته، وخلفياته المعرفية.

2- العمل الأدبي في تصور حسين مروة.

3- المنهج الاجتماعي عند حسين مروة: القضايا والممارسة النقدية.

- تمهيد:

من الثابت تاريخيا أن لبنان وباقي الدول العربية قد شهدت منذ الربع الأول من القرن العشرين تغيرات سياسية، واجتماعية وأدبية، أسهمت بشكل حاسم في تغير خارطة النقد الأدبي، علاوة على الدور العميق الذي أحدثه ذلك التفاعل بين الثقافتين العربية والغربية في هذا التغيير، نتيجة مواكبة الناقد العربي للنظريات النقدية الغربية، التي قعدّت للأدب في صيرورته التاريخية. ومن المسلمات التي لا تجادل هيمنة المنهج الاجتماعي، وازدهاره في الفكر العربي الحديث، مقارنة بالنقد التاريخي والتحليل النفسي، نظرا لتحمس معظم النقاد لهذا التوجه الجديد، مقارنة بالسائد آنذاك، وإيمانهم بمرتكزاته ورهاناته المعرفية، وتجلى ذلك من خلال منجزاتهم النقدية تنظيرا وإنجازا.

ويعد الناقد اللبناني **حسين مروة** من أهم النقاد والمفكرين الذين أرسوا دعائم المنهج الاجتماعي في النقد العربي، وأسّسوا للتيار الواقعي في الأدب، إذ مثلت جهوده نقلة نوعية في مسار النقد العربي، استجابة لمتغيرات الواقع. وتأسيسا على هذا، نتساءل: من يكون **حسين مروة؟** ما خلفياته المعرفية؟ فيم تكمن إسهاماته في ترسيخ الفكر الاشتراكي، وتطوير المنهج الاجتماعي في العالم العربي؟ ما مفهومه للأدب وللمنهج النقدي؟ ما القضايا التي عالجها في مشروعه الفكري والنقدي؟ فيم تكمن خصوصيته النوعية في تعامله مع المنهج الغربي على الصعيد النظري والتطبيقي. فهذه الأسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المحاضرة.

1- حسين مروة: حياته، وخلفياته المعرفية:

حسين مروة مفكر وناقد وأديب لبناني، سافر بعد إنهاء تعليمه الابتدائي إلى العراق سنة 1924 لدراسة الفقه الإسلامي واللغة العربية وآدابها في جامعة النجف، عمل في الصحافة، نشر عديد المقالات السياسية والأدبية في مجلات وجرائد أهمها: "الطريق"،

"الثقافة الوطنية"، "الحضارة"، "مع القافلة"، أسهم في تأسيس مجلتي "الثقافة الوطنية" و "الطريق"، مستثمرا إياهما في التعريف بالفكر الماركسي. كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني، وعضو رابطة الكتاب العرب. كان للمؤتمر الثاني لاتحاد عموم كتاب الاتحاد السوفياتي المنعقد سنة 1954 عميق الأثر في تكوينه الفكري، كونه اتصل مباشرة بأصول الفكر الاشتراكي الذي سعى إلى نشره في العالم العربي. له عديد المؤلفات منها: "مع القافلة"، "قضايا أدبية"، "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي"، "النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية" وغيرها. اهتم بعديد القضايا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قضايا الحياة اليومية، الأحداث السياسية، التراث العربي والأدب العربي الحديث، التيارات الأدبية الغربية، وتيارات الفكر العربي والإسلامي، ومسائل فقهية، والثورة الاشتراكية.[1]

شيّد الناقد **حسين مروة** تصوره النظري على ثوابت قوامها المتابعة المستمرة لتحولات المجتمع العربي عموما والمجتمع اللبناني حصرا، على الصعيد السياسي، والاجتماعي، والثقافي والأدبي والنقدي من جهة، واطلاعه على مستجدات النظرية النقدية الغربية، واتصاله المباشر برواد الفكر الماركسي من جهة أخرى، هذه النظرية التي تجاوزت معطيات الفلسفة المثالية، والتيار الرومانسي، ونظرية الفن للفن، وبلورت التيار الواقعي في الأدب والنقد بوصفه تصورا جديدا يهدف إلى تحديث المشهد النقدي.

ومن هذا المنظور فقد تعامل الناقد **حسين مروة** مع هذه المعطيات بوعي كبير، مستلهما مفاهيم الفكر الاشتراكي، بغية تقويض النقد العربي آنذاك القائم على النقد التأثري والانطباعي، وإعادة طرح أسئلة جديدة تؤطر خطابنا الأدبي والنقدي على صعيد التصور النظري، والمفاهيم والممارسة النقدية، وهكذا ظل "في كل إنتاجه على تعدده وتنوعه وفيا لهذا

1-ينظر محمد دكروب، وعبد النبي أصطيف وآخرون: جوامع فكر حسين مروة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص ص ص: 20- 215-217.

الخطاب الفكري والنقدي، الذي يستلهم الماركسية منهجا للتحليل، ويسترشد بها أداة للتقويم، وهو الخط الذي دشنّه بأول مؤلف نقدي له (قضايا أدبية– الصادرة سنة 1950–)"[1].

2– العمل الأدبي في تصور حسين مروة:

إن إيمان الناقد بالفكر الاشتراكي، ومراجعته التيار الأدبي الذي كان يغذي النصوص الإبداعية آنذاك، حفّزه على تجديد النقد الأدبي، وتعريفه بالتيار الواقعي، إذ انطلق من فكرة أن الأدب الروسي "متصل اتصالا وثيقا بحياة الشعب، ولأن الشعب هناك على اتصال دائم بحياة الأديب، ذلك لأن بين حياة الشعب وحياة الأديب هناك تفاعلا عجيبا لم يعرف تاريخ الإنسانية نظيرا له قط"[2] وبهذا المعنى فقط اقتنع **حسين مروة** بضرورة اهتمام الأدب بالحياة الواقعية، والتعبير عن الظروف الاجتماعية للإنسان، مستندا على آلية المقارنة بين جوهر العمل الأدبي الروسي والعمل الأدبي العربي. وفي هذا النطاق يرفض مفهوم الأدب الذي يسعى إلى "إحداث قطيعة نهائية بين المنتوج الأدبي والواقع الاجتماعي الذي هو شرطه، مما يترتب عليه نزع الصفة الاجتماعية عن الأدب، وإهمال وظيفته الأساسية بهذا من جهة، ومن جهة أخرى يؤدي إلى تهميش المبدعين وعزلهم عن حركة الصراع الاجتماعي، والتقوقع داخل التهويمات التأملية الثانية"[3].

إن رفضه هذا مؤسس على الفكر الاشتراكي الذي اقتنع به، وامتاح مفاهيمه منه فضلا عن ايمانه بوظيفة الأدب الاجتماعية، والانصات لصوت المجتمع، بدل صوت الأنا. لذلك نجده قد نظر إلى العمل الأدبي بوصفه "تعبيرا عن الحياة الواقعية، عن الظروف والأوضاع والأنظمة التي يحياها الأديب من تاريخ المجتمع"[4]. وتأسيسا على هذا، فقد استلهم الناقد **حسين مروة** تصوره هذا، من الفلسفة المادية التاريخية، التي تعد جزءا من الفكر الماركسي،

1–عباس، محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، جهود التأسيس، ص: 178.

2–مروة، حسين: قضايا أدبية، نقلا عن عباس محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، ص: 179.

3–عباس، محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، جهود التأسيس، ص: 183.

4–مروة، حسين: قضايا أدبية، نقلا عن عباس محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، ص: 184.

تهتم بدراسة المجتمع بطبقاته، وأنظمته، ونتاجاته الفكرية والظروف التاريخية المرتبطة بها، والقضايا الاجتماعية، والوعي بها في مرحلة تاريخية، تمثل مرحلة حياة الأديب ذاتها، أي إنه يؤسس نظرته للعمل الأدبي على مبدإ راهنيته، وواقعيته، إيمانا منه بدوره العميق في التعبير عن حركية المجتمع، وتصوير المرحلة التاريخية.

وانطلاقا من هذا المنظور فإن الناقد يقسّم الأدباء إلى قسمين اثنين: "فريق يعبر عن الحركة التاريخية النامية التي تفرز قوى التجدد والتقدم، وتطرح قوى التهرئ. وهذا هو الفريق الذي يمثل الأدب الواقعي التقدمي، وفريق يتجاهل هذه الحركة التاريخية، ويعبر عن القوى التي تعوق حركة الولادة والتجدد، وهو الفريق الذي يمثل الأدب الرجعي"[1]. وهكذا إذن، يتحدد موقف **حسين مروة** من العمل الأدبي، من حيث الماهية، والهدف، والتيار الذي يغذيه، فالأدب عنده تقدمي، يرفض الواقع الراهن، ويصور الصراع الطبقي، وتغيرات التاريخ، ويلعب دورا اجتماعيا كبيرا في الكشف على كل مظاهر الاستعباد ويدعو إلى الحرية والعدل.

3- المنهج الاجتماعي عند حسين مروة: القضايا، والممارسة النقدية:

سعى الناقد **حسين مروة** عبر منجزه النقدي "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي" إلى تقديم النظرية الواقعية وتعريف القارئ العربي بإواليتها، وتقديم مقاربة لنصوص أدبية ونقدية مختلفة نذكر منها أعمال **هارون عبود، وتوفيق الحكيم، وميخائيل نعيمة، ولويس عوض، ومحمود عباس العقاد، ومحمد النويهي، وأدونيس، وخليل الحاوي**، كما خصصه أيضا لمحاورة بعض القضايا النقدية والفلسفية: مثل قضية الواقعية الجديدة، والرمانسية والعلاقة بينهما وموقفه من ذلك النقد المنهجي، شروط الناقد وكيف يتعامل مع الوافد الجديد في سياق مقاربته النص العربي.

1-المرجع السابق، ص: 184.

إن ما يستوقفنا من هذه القضايا المثارة، هي قضية دعوته إلى نقد مؤسس على معالم منهجية واضحة، وهي ما يصطلح عليها بـ "النقد المنهجي"، الذي يقصد به ذلك النقد الذي "يكون مؤسسا على نظرية نقدية تعتمد أصولا معينة في فهم الأدب، وفي اكتشاف القيم الجمالية والنفسية والفكرية والاجتماعية في العمل الأدبي. واعتماد هذه الأصول يقتضي من الناقد أن يتجهز كذلك بقدر من المعرفة، تتصل بشؤون النفس الإنسانية في ضوء هذه المعرفة، بالإضافة إلى الإلمام –ضرورة– بأهم قضايا العصر التي تساعد معرفتها الناقد على تحديد موقف العمل الأدبي تجاه هذه القضايا الفكرية كانت أم الاجتماعية، أم السياسية أم الفنية"[1].

واستنادا لهذا الطرح، فقد أدرك الناقد **حسين مروة** بوعي نقدي ظاهرة غياب النقد المنهجي، في الخطاب النقدي العربي، نظرا لعدم اعتماده على ضوابط علمية، وعلى أهداف نقدية تسعفه في تقديم مقاربة منهجية للنص الإبداعي العربي، متخذا من النقد اللبناني عينة عن صورة الخطاب النقدي العربي، المؤسس **–حسب مروة–** على الأحكام الاعتباطية.

وفي هذا الإطار يدعو إلى ضرورة تغيير طرائق التعامل مع النص الأدبي، وتبني نقد منهجي يستند إلى تصور نظري، واضح المعالم في نظرته إلى الأدب، إذ يوفر للناقد أدوات إجرائية، تساعده في استجلاء المعطيات الجمالية، والنفسية، والفكرية، والاجتماعية. إن عدم تجاوز **حسين مروة** المعطى الجمالي كقيمة تميز العمل الأدبي، يؤشر على إيمانه بأن العمل الأدبي يتضمن إلى جانب المعطى الاجتماعي، والفكري، والسياسي، المعطى الجمالي. ويطرح **حسين مروة** قضية أخرى في هذا الصدد أيضا، وهي متطلبات الناقد، لكي يقدم قراءة ذات إنتاجية للنص الأدبي، ومتمثلة في ثقافة نقدية راهنية تؤهله لاستنطاق النص الأدبي على جميع الأصعدة.

1–مروة، حسين: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ص: 5.

ومن هذا المنطلق يتجلى لنا خصوصية نوعية في الفكر النقدي **لحسين مروة**، متمثلة في حسه النقدي بضرورة مراعاة خصوصية النص العربي في ضوء مقاربته بمنهج غربي المنشأ، إذ يرى بأن المنهجية النقدية الحقيقية تكون أسسها "ثابتة من الجوهر متحركة، متطورة، متجددة، متنوعة من حيث التطبيق ومراعاة الخصائص الذاتية القائمة على كل خلق أدبي بخصوصه، إلى جانب الخصائص العامة المكتسبة من قوانين الحركة الشاملة المرافقة لكل عمل أدبي ذي قيمة فنية ما"[1].

فبالإضافة إلى وعيه بقضية النقد المنهجي، فقد حرص الناقد أيضا على مسألة غاية في الأهمية، تؤشر على إدراكه أدبيات المثاقفة مع المنهج، كونه نشأ في بيئة مختلفة حضاريا وسوسيو ثقافيا، عن بيئتنا العربية، إذ يدعو إلى مسألة تبييئ المنهج، ومراعاة الخصائص النوعية للنص العربي، الذي يكتسبها من خصوصية ثقافتنا العربية. فللمنهج ثوابت ومتغيرات على الناقد أن يحاور المتغيرات، ويسعى إلى تطويع المنهج، وفقا للشروط الحضارية التي أسهمت في إنتاج النص العربي.

كما دعا الناقد الكتاب العرب إلى محاكاة الكتابات الأدبية السوفياتية في جوهرها، المرتهن بإعادة تشكيل الواقع، مع ضرورة مراعاة بيئتنا العربية وقضايا مجتمعنا، ويؤكد هذا المنحى، الباحث **محمد عباس** في كتابه "دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث" قائلا: بأن **حسين مروة** يرى "أنه من اللازم على الكتاب الواقعيين أن يتدارسوا ما ناقشه الكتاب السوفيات في مؤتمرهم الثاني، لكن هذا التدارس لا يعني لديه قطعا أن يصدر مفاهيم الواقعية الاشتراكية إلى أدبنا العربي، على ما هي عليه في الأدب السوفياتي، بل أن نسترشد بالتجربة السوفياتية في اكتشاف واقعية عربية تلائم ظروفنا الخاصة وطابعنا الوطني"[2].

1-المرجع السابق، ص: 6.

2-محمد عباس: "دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث"، ص: 180.

ومن القضايا النقدية التي أثارها أيضا قضية العلاقة بين الواقعية الاشتراكية، والواقعية الجديدة، هذه الأخيرة التي تميز أدبنا العربي، "وذلك بحكم اختلافه، الذي رأى، عن أدب البلدان ذات النظام الاشتراكي، والذي ترك له مصطلح مدرسة الواقعية الاشتراكية، ولقد استند حسين مروة في هذا التمييز بين أدب مدرسة الواقعية الجديدة، وأدب مدرسة الواقعية الاشتراكية إلى مفهوم علاقة الأدب بالواقع الاجتماعي، أو بمفهوم الانعكاس، الذي جهد في تحرير معناه من الميكانيكية. فالميكانيكية هي في نظره وليدة فهم سطحي لعلاقة الأدب بالواقع، لذا اندفع إلى التأكيد على جدلية هذه العلاقة، أو على عضويتها."[1] علاوة على ذلك فقد قارن بين الرومانسية، والواقعية وحدد الفرق الجوهري بين مصطلحي المادية الجدلية/ والمادية التاريخية، إذ يرى بأن "مصطلح المادية الجدلية يتضمن التعبير عن قوانين الحركة الكونية بوجه عام، في حين مصطلح "المادية التاريخية يعبر عن قوانين حركة التطور الاجتماعي البشري بوجه خاص. وهذا يعني بوضوح التفريق علميا بين آلية الحركة الطبيعية، وإرادية الحركة الاجتماعية"[2]. إذ يقصد بالإرادية مجموعة الخصائص البشرية التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات.

وهكذا يتبيّن لنا أن الناقد **حسين مروة** إضافة إلى سعيه إلى طرح تصوره النقدي المتمثل في النقد الواقعي في جانبه النظري، عن وعي نقدي بضرورة تحديث الخطاب النقدي آنذاك، فقد اشتغل في حقل نقد النقد عبر مراجعته الخطاب النقدي بلبنان، ومناقشته قضايا المنهج والمصطلح والممارسة النقدية، ورفضه النقد التأثري، الذي لا يسهم –حسبه– في دينامية الفعل النقدي، ويدعو إلى نقد موضوعي منهجي وعيا منه بالبعد العلمي للنقد.

1–أيمن العبد وآخرون: حوار مع فكر حسين مروة، ص: 253.

2–مروة، حسين: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، ص: 17.

لقد سعى الناقد من خلال كتابه السابق على صعيد الممارسة النقدية إلى استثمار مقولات المنهج الواقعي، لتقديم مقاربة لمجموعة من الأعمال الإبداعية كأعمال **هارون عبود، توفيق الحكيم، أدونيس، خليل الحاوي** وغيرهم. وقد صرح بطبيعة الرؤية المنهجية التي تؤطر مقاربته قائلا إنها: " محاولات متواضعة لتطبيق المنهج الواقعي في الدراسة النقدية. وهو المنهج الذي أشعر بطمأنينة عقلية ووجدانية لأنني انتهجته."[1] يؤشر هذا القول النقدي على اقتناعه الفكري بهذا المنهج، وإيمانه بكفاءته في قراءة النصوص الإبداعية.

فمثلا في سياق تحليله نص "فارس أنا" **لهارون عبود،** فقد تمثل المنهج الاجتماعي، مثيرا عديد الأسئلة المتعلقة بطبيعة النوع الأدبي الذي ينتمي إليه هذا النص، وعن مكوناته، وعن التيار الفكري الذي يؤطره، وعن أبعاده الاجتماعية، وقيمه الجمالية، لينتهي بأنه عبارة عن رواية، باحثا عن دلالاتها الاجتماعية، وصراعاتها الفكرية، كما اهتم أيضا بالبعد الجمالي، كاشفا عن أسلوبها المباشر وغير المباشر، وأهم النصوص الهامشية التي أسهمت في تشكيل عالم الرواية، واتبع المنهج ذاته في مقاربته مسرحية "الطعام لكل فم" **لتوفيق الحكيم،** ولنص **خليل حاوي** "بيادر الجوع"، مركزا على المضامين، والصراعات الوجودية والفكرية، وتناقضات المجتمع. وما يمكن الإشارة إليه أيضا على صعيد الممارسة النقدية عند **حسين مروة** في كتابه ذاك، أنه لم يكتف بدراسة المتون الإبداعية، بل تعداها إلى متون نقدية عبر مراجعته مسار الحركة النقدية العربية، من خلال عينات: **محمود عباس العقاد، النويهي، لويس عوض ومحمود أمين العالم،** مركزا على إواليات التحليل عند كل واحد على حدة، مناقشا أراءهم النقدية حول المدارس الأدبية، وبهذا فإن طبيعة المتون عنده مؤسسة على التنويع وفقا لتنويع المقاصد.

1-المرجع السابق، ص: 09.

المراجع:

1) أيمن العبد وآخرون: حوار مع فكر حسين مروة.دار الفرابي،بيروت،لبنان،ط1، 1990.
2) عباس، محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، جهود التأسيس.
3) مروة، حسين: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.
4) محمد دكروب، وعبد النبي أصطيف وآخرون: جوامع فكر حسين مروة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط$_1$، 1990.

المحاضرة الرابعة عشر: محمود أمين العالم

- تمهيد.

1- محمود أمين العالم: حياته ومرجعياته المعرفية.

2- العمل الأدبي في تصور محمود أمين العالم.

3- الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم: القضايا والممارسة النقدية.

- تمهيد:

شهدت الحركة الثقافية في مصر منذ أربعينات القرن العشرين دينامية كبيرة وصراعات عميقة، سواء أكانت اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية، أم فكرية، نظرا لما تمخض عليه الواقع المصري من معطيات، وما أنتجه من أفكار ورؤى، أسهمت بشكل حاسم في تشييد حركة أدبية ونقدية، مغايرة للسائدة آنذاك. إذ سعت بعض الأصوات الفكرية والنقدية إلى مساءلة المسار السياسي والثقافي، والأدبي والنقدي، وعلاقة كل ذلك بالواقع، ومدى إنتاجية الخطابات الأدبية والنقدية، ووعيها بالدور المنوط بها، كما تمت المساءلة أيضا حول مسألة الوعي بالقضايا المجتمعية، إذا كانت تلك الأصوات على اقتناع تام بضرورة تحديث الفكر النقدي، وتغيير الإطار الفكري الذي يؤطر الأعمال الإبداعية، لأن التيار الرومانسي عاجز على استيعاب آلام وطموحات الشعوب، وتصوير معاركهم حول الديمقراطية، والعدل والمساواة.

ويعد **محمود أمين العالم** صوتا فكريا ونقديا، له عميق الأثر في إعادة قراءة البنية الفكرية والثقافية العربية، وتأسيسه رؤية نقدية جديدة مشبّعة بالفلسفة المادية الجدلية، محكومة بمبدإ الراهنية، كونه انفتح على منجزات الفكر النقدي الواقعي كبديل عن الفكر الرومانسي. وتطمح هذه المحاضرة إلى دراسة الفكر النقدي عند **محمود أمين العالم** على الصعيد النظري والتطبيقي، وبسط أهم القضايا المثارة من لدنه، والتعرّف على إسهاماته في الحقل النقدي، وتحديد موقفه من العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا.

1-محمود أمين العالم: حياته ومرجعياته المعرفية:

محمود أمين العالم (1922-2009) مفكر وناقد، ومناضل يساري مصري، له دور كبير في الحركة الثقافية المصرية، من خلال إثارته لأسئلة معرفية متعلقة بالفكر السياسي، والثقافي، والاجتماعي، والنقدي في العالم العربي، كان على وعي فكري ونقدي كبيرين

بالإطار السوسيوثقافي والتاريخي المصاحب لمرحلة حياته، أثار نقاشا معرفيا مع نقاد مدرسة الإحياء، والمدرسة الرومانسية، نظرا لشجاعة طرحه وعمقه، ووعيه بضرورة تحديث الرؤى الفكرية والنقدية، وإنتاج نصوص إبداعية تعيد تشكيل الواقع، وتصورُ مظاهره وتناقضاته. وبناء على مواقفه الفكرية والنقدية المتطورة القائمة على نقد النظام السياسي، والاقتصادي، والواقع الاجتماعي، والتيار الفلسفي الذي يؤطر العملية الإبداعية والنقدية في مصر، وفي العالم العربي عموما، فقد تمّ فصله من الجامعة بوصفه أستاذا في كلية الآداب، قسم الفلسفة بالقاهرة، ليسافر إلى فرنسا ويستمر في نشر مقالات في النقد الأدبي في مجلة "الآداب" اللبنانية.[1] كتب عديد المؤلفات في الفكر والنقد أهمها: "الإنسان الموقف"، و"فلسفة المصادقة"، و"الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي بين الخصوصية والكونية"، و"ثلاثية الرفض والهزيمة" وغيرها من المؤلفات الفردية، له كتاب مشترك مع المفكر والناقد **عبد العظيم أنيس** "في الثقافة المصرية"، الذي خصصه لبلورة فكره النقدي والسياسي والفلسفي ونشر معاركه الفكرية والنقدية: أعادا كتابة مقدمته بعد أربعة وثلاثين ستة من تأليفه، بمثابة تعقيب –حسبه–.

وقد أشار الباحث **جهاد فاضل** في دراسته الموسومة بـ "المنهج النقدي لمحمود أمين العالم" إلى الخلفيات الفكرية والمرجعيات النقدية التي استلهمها **العالم**، وشكّلت ثقافته النقدية، وحدّدت مساره، إذ إنه أفاد من "نظرية الالتزام، وأفاد من النقد العربي القديم، بل أفاد من النظريات البنيوية التي عارضها، وامتزج كل ذلك بمعارفه الفلسفية ومواقفه السياسية، والثقافية المتفاعلة زمنيا مع الأحداث".

1–ينظر حسين، مروة: مقدمة كتاب في الثقافة المصرية، محمود أمين العالم، أنيس عبد العظيم، دار الثقافة الجديد، ط3، 1989، ص: 17.

2- العمل الأدبي في تصور محمود أمين العالم:

كرّس الناقد محمود أمين العالم جهده الفكري لتجديد النظر إلى الثقافة، وتفكيك مكوناتها، والسعي إلى تحيين مفاهيمها، إقتناعا منه بضرورة راهنيتها، كما جهد وجاهد لتقويض الفكر النقدي السائد، فقد أحدث وفقا لتصوراته ثورة فكرية ونقدية خلخلت السائد، وعكست مرحلة جديدة، فرضتها تحولات المجتمع في مرحلة تاريخية، تميزت بـ "الغليان والتحول في الإبداع الأدبي، والفكري خلال سنوات الأربعينيات والخمسينيات"[1] من القرن العشرين.

وهكذا طرح الناقد **محمود أمين العالم** رؤاه، ليواكب التيار الواقعي، وليقدم تصورا جديدا عن الأدب، يتجاوز عبرها التصورات السائدة آنذاك التي كان "يغلب عليها الطابع الانطباعي الذوقي من ناحية، أو الطابع الكلاسيكي التقريري من ناحية أخرى".[2] سعى بحس نقدي إلى تحديث الرؤية النقدية، وكانت رؤاه بمثابة نقلة نوعية في النقد العربي، تجاوز عبرها طروحات جماعة الديوان، وفي هذا النطاق يشير الناقد **حسين مروة** في مقدمة كتاب "في الثقافة المصرية"، بأن التصورات النظرية لكل من الناقدين **محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس**، قد تبلورت لتضع "مسألة الأدب الواقعي، ومسألة الثقافة الوطنية للبلدان العربية في مكانهما من حركة التحرر الوطني العارمة الواثبة في أقطار الشرق كله"[3]. وهكذا فقد كان العالم واعيا بالمتغيرات التي شهدها المجتمع آنذاك، وكان فاعلا أيضا عبر جهوده الفكرية والنقدية التي بذلها لترسيخ أطروحة أن الأدب يجب أن يهتم بالحياة الواقعية، لذلك يرفض مفهوم الأدب الذي يستند على الفلسفة المثالية.

1-فاضل، جهاد: المنهج النقدي لمحمود أمين العالم،

Http://www.alriyadh.com. 2021/04/16/ 1:27

2-مروة حسين: مقدمة كتاب في الثقافة المصرية، ص ص: 15-16.

3-المرجع نفسه، ص: 13.

وفي إطار مناقشته قضايا الثقافة المصرية، وايمانا منه بأن الواقع مرجعا للأدب، فإنه يرى، بأن الأدب "ليس انعكاسا مرآويا آليا مباشرا للواقع، كما يزعم هؤلاء الناقدون، وكما يستمرون في الزعم اتهاما لمدرسة الواقعية في النقد، وإنما الأدب هو تعبير إبداعي عن خبرة حية، وهو تعبير عن موقف اجتماعي مهما اختلفت أساليب تعبيره"[1]. شيّد **العالم** تصوره النقدي المتعلق بماهية الأدب على الفلسفة الاشتراكية، رافضا أطروحة **لينين** التي تتحدد في كون الأدب مرآة عاكسة للمجتمع، وأنه نتاج تسجيلي لكل الظواهر المجتمعية، ووثيقة اجتماعية، مؤكدا بأن الأدب نتاج إنساني يعبر عن معرفة بالحياة، ويعكس موقف الكاتب من قضايا المجتمع، بأساليب متنوعة تؤشر على الخصوصية النوعية لكل أديب، بهذا المعنى **فالعالم** لم يقص المعطى الجمالي في سياق تعريفه الأدب، متجاوزا بذلك النظرة الجدلية الآلية.

وقد ناقش ماهية الأدب في سياق رده على مقال **طه حسين** الموسوم بـ "صورة الأدب ومادته"، الذي حصره من خلال ثنائية الصورة/المادة، إذ إن الأدب حسبه يتمثل في كون اللغة صورته والمعاني مادته. ليطرح العالم البديل في ثنائية صياغة/مضمون، وهو في ذلك على اقتناع تام بأن الأدب "بناء متراكب ينمو نموا داخليا ويصوغ واقعا اجتماعيا صياغة متسقة،... فالأدب مرحلة تتجاوز طلاوة الأسلوب، وتفوق لطافة المعنى، ولأننا –يقول العالم– نعد الأدب بناء متكاملا صورته ومادته بعملية باطنة فيه، هي كماله وحقيقته"[2].

وبهذا المعنى فقد استلهم الناقد محمود **أمين العالم** تصوره هذا للأدب من الفكر البنيوي التكويني المستمد تصوره من الفلسفة المادية الجدلية، إذ يرى الأدب إعادة صياغة للمجتمع

1–العالم، محمود أمين، أنيس عبد العظيم، في الثقافة المصرية، ص: 21.

2–المرجع نفسه، ص: 45.

وأنظمته، وقضاياه، صياغة متباينة تتحكم فيها القدرة التخييلية للمبدع، أي إنه ينطلق في تصوره للعمل الأدبي على أساس مبدإ التفاعل بين الشكل والمضمون.

وهكذا فالأدب في تصوره يتأسس على ثنائية الصياغة/المضمون يصور الواقع الاجتماعي بصراعات طبقاته، وحركيته عبر اللغة كبنية دالة، تفصح عن رؤية الأديب للعالم، فهو نتاج جمالي يتضمن محمولات اجتماعية.

3- الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم: القضايا والممارسة النقدية:

تعد قضية المنهج النقدي من أهم القضايا التي أثارها **العالم** في مشروعه الفكري والنقدي، انطلاقا من تصوره النص الأدبي بوصفه إنتاجا جماليا، تتضمن لغته محمولات اجتماعية، وتاريخية وإيديولوجية، ويعكس هذا النص موقف الأديب من العالم، لذلك تجده قد دعا وتمثل رؤية وإجراء التصور المنهجي الذي يهتم بعلاقة المعطيات الجمالية، والمعطيات الاجتماعية والايديولوجية، ويؤكد في هذا النطاق بأن رؤيته النقدية "ليست مقصورة على الجانب الاجتماعي للعمل الأدبي وحده، وإنما لمجمل بنيته التعبيرية الجمالية في سياقها التاريخي والاجتماعي وفعاليتها الموضوعية"[1]. فبوعي نقدي يؤكد مسلكه النقدي، إذ إنه لم يقف عند "حدود النقد الفني البحت ولا النقد الاجتماعي البحت للعمل الفني، بل كشفنا- حسبه- عن مقدار الترابط الطبيعي والتداخل الحي بينهما، فنحن -يقول العالم- لا نقول بالبنية الحية للعمل الفني فقط- كما قال العقاد فعلا في بعض كتبه، وإن لم يفهم ما قاله، ولم يحققه- بل نحدد طبيعة هذه البنية الحية ونكشف عن كل العناصر المكوّنة لها، ثم لا نفصل هذه البنية عن المضمون الاجتماعي، وبهذا نوحد في نظرة واحدة نوعين من الدراسة طالما فصل وكثير من النقاد بينهما... وهكذا نوسّع من مجال النقد الأدبي"[2] .

1-المرجع السابق، ص: 22.

2-المرجع نفسه، ص: 54.

وتأسيسا على هذا الطرح، فقد أدرك الناقد عجز البنيوية في تحليلها الأعمال الابداعية، نظرا لإقصائها المعطى الاجتماعي من جهة، وتجاوزه النقد الاجتماعي الجدلي الذي ينظر إلى الظاهرة الأدبية كوثيقة اجتماعية، ويهمل الجانب الجمالي الذي يمنح خصوصية نوعية للأعمال الأدبية، ويتمثل البنيوية التكوينية رؤية وإجراءً، لاستجلاء الدلالة الاجتماعية للنصوص الأدبية. وعلى صعيد الممارسة النقدية، فقد قدّم مقاربة بنيوية تكوينية في كتابه "ثلاثية الرفض والهزيمة" الصادر سنة 1985، والذي يتناول فيه بالدراسة النقدية ثلاثية **صنع الله إبراهيم** (تلك الرائحة، نجمة أغسطس، اللجنة) مستندا إلى الخلفية الفلسفية التي وفرتها المادية الجدلية من جهة، ومستفيدا من مصطلحية النقد البنيوي التكويني في جانب من دراسته من جهة أخرى"[1].

واللافت للنظر فإن الرؤية المنهجية **للعالم** في دينامية مستمرة، تؤشر على وعيه النقدي، وفهمه العميق للنظرية النقدية الغربية، فقد مرت رؤيته المنهجية بمراحل تؤطرها التصورات النقدية السائدة آنذاك في العالم الغربي، ووعيه النقدي بضرورة مواكبتها. ففي هذا الإطار أشار الباحث صلاح السروي في دراسته "تطور الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم"، إلى تلك المراحل التي شهدها الفكر النقدي عند العالم، وهي على النحو الآتي: مرحلة تآزر الشكل والمضمون التي تعكس صراعه مع طه حسين، ومرحلة تداخل الشكل والمضمون التي طرح عبرها قضية العلاقة بين الصورة والمادة، والمرحلة الأخيرة تمثل مرحلة جدل الشكل والمضمون التي تتأسس على العلاقة الجدلية، لتتوج هذه المرحلة بكتابه "ثلاثية الرفض والهزيمة"[2].

1-عيلان، عمر: النقد العربي الجديد، مقاربة في نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص: 192.

2-ينظر: السروي، صلاح: تطور الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم.

ومن القضايا الفكرية التي ناقشها **العالم**، إلى جانب قضية المنهج النقدي، قضية الثقافة بوصفها مكونا من مكونات المجتمع، إذ سعى إلى تحديد ماهيتها، وضبط معالمها، انطلاقا من أطروحة أن الأدب والفن مظهران من مظاهر الثقافة في تصوره، فحدد في مقاله "من أجل ثقافة مصرية" المنشور في كتاب "في الثقافة المصرية" ماهية الثقافة، فهي "كتعبير فكري، أو أدبي أو فني، أو كطريقة خاصة للحياة، إنما هي في الحقيقة انعكاس للعمل الاجتماعي الذي يبذله شعب من الشعوب، بكافة فئاته، وطوائفه، ومظهر لما يتضمنه هذا العمل الاجتماعي، من علاقات متشابكة وجهود مبذولة، واتجاهات، فالأساس الذي تقوم عليه الثقافة إذن ليست شيئا جامدا، أو عقيدة محددة، وإنما هو عملية لها عناصرها المتفاعلة، واتجاهها المتطور"[1].

بهذا المعنى فقد حدد مفهوم الثقافة "من داخل الاطار الاجتماعي، لأن عناصر تشكل هذه الثقافة تستمد من السياق الاجتماعي الذي يحتضنها، غير أن البحث في مفهوم الثقافة بالنسبة إليه، هو بحث في "الثقافة المصرية" بصفة عامة."[2] لقد أسس العالم ماهية الثقافة انطلاقا من رفضه التعريف الذي حدده الناقد الانجليزي **ت.س. إليوت** الذي حصره في العامل الديني، مهملا العامل الاجتماعي، وفي هذا السياق قدّم قراءة لمسرحية "عودة الروح" **لتوفيق الحكيم** كعينة عبّرت عن مرحلة تاريخية في الثقافة المصرية.

وهكذا فقد أسهم الناقد **محمود أمين العالم** في دينامية الفعل النقدي عبر مشروعه الفكري والنقدي، متمثلا البنيوية التكوينية تصورا منهجيا.

1-العالم، محمود أمين: في الثقافة المصرية، ص: 25.

2-اليوسفي، الذهبي: الأدب والايديولوجيا في النقد العربي الحديث، ص: 317.

المراجع:

1) العالم، محمود أمين، أنيس عبد العظيم، في الثقافة المصرية.

2) عيلان، عمر: النقد العربي الجديد، مقاربة في نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.

3) فاضل، جهاد: المنهج النقدي لمحمود أمين العالم،

Http://www.alriyadh.com. 2021/04/16/ 1:27

4) مروة، حسين: مقدمة كتاب في الثقافة المصرية.

5) وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية.

6) السروي، صلاح: تطور الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم.

Https:// www.diwanalarb.com 2021/04/19 1:18

7) اليوسفي، الذهبي: الأدب والايديولوجيا في النقد العربي الحديث.

خـــــاتمـــة:

خاتمة:

لقد أفضى بنا الحديث عن النقد الاجتماعي في مرحلته الجدلية إلى جملة من النتائج حددها محتوى المادة المقترح، والمتعلقة بالأسئلة المثارة بخصوص قضية مرجعية الأدب، والخلفيات الابستيمولوجية، التي أطرت الرؤى النقدية المتعددة، علاوة على كيفيات تمثل الناقد العربي إواليات النظرية الاجتماعية للأدب في إطار معادلة المثاقفة.

-أجمعت الأدبيات النقدية أن النظرية الأدبية الاجتماعية، قد شهدت تحولات عظمى على صعيد التصورات النقدية، والمفاهيم الإجرائية، وماهية النتاج الأدبي في علاقته بالواقع الاجتماعي، هذه التحولات أفرزتها الظروف السوسيوثقافية، والسياقات الحضارية لكل مرحلة من مراحل تطور هذه النظرية، بدءا من الشعرية اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، وصولا إلى النقد البنيوي التكويني، والنقد السوسيونصي في القرن العشرين والواحد والعشرين، مرورا بالنقد الجدلي، الذي هو مدار هذه المحاضرات.

-أسهمت كل مرحلة من مراحل تطور الفكر النقدي الاجتماعي في تشكيل أدواته الإجرائية، وفي تعدد مداخل استنطاق النص الأدبي من الوجهة الاجتماعية، وتباينت أسئلة القراءة وآلياتها، بتباين الاقتناعات الفكرية للنقاد الماركسيين، في ضوء تشبّعهم بالفلسفة الماركسية، التي تُؤطر تصوراتهم النقدية ابستيمولوجيا، وتقعد لتصوراتهم النظرية وآلياتهم الإجرائية.

-شيّدت النظرية النقدية الاجتماعية للأدب بعد أطروحة المحاكاة، على أطروحة العلاقة الوظيفية كما بلورها المفكر العربي **ابن خلدون**، لتعرف تطورا عبر بلورة أطروحة العلاقة التناظرية، التي تعكس منظور المفكر الايطالي **فيكو**، القائمة على أساس خصوصية المرحلة الحضارية، التي تتحكم في طبيعة النتاجات الأدبية.

-تعمّقت مقولات النقد الاجتماعي في مطلع القرن التاسع عشر (ق 19)، وارتسمت معالمه مع طروحات الناقدة الفرنسية **مدام دوستايل**، التي أسسّت مقولتها النقدية على مقولتي البيئة الثقافية، والشخصية الاجتماعية، مقنتعة بأن اجتماعية الأدب مرتهنة بتحققهما.

-وتساوقا مع هذه النتيجة، يمكن الإشارة إلى أن الجهود النقدية اللاحقة، قد سعت إلى توسيع مدار الجهود السابقة لها، وتعميق آفاقها، والاسهام في تقديم إضاءات جديدة في مجال الدراسات الاجتماعية للأدب، والاستفادة من معطيات الفلسفة الوضعية، والنقد العلمي، السائدين في القرن التاسع عشر. إذ أغنت طروحات كل من **هيبوليت تين، وغوستاف لانسون** الأطاريح السابقة، المتعلقة بالنقد الاجتماعي، والنقد التاريخي، إذ طرحت مفاهيم جديدة، وحددت أهداف معرفية اقتضتها السياقات الحضارية، وعلى هذا الأساس بلور **تين** ثلاثيته الشهيرة، وكرّس **لانسون** جهده لتفعيلها في مقارباته النقدية.

-ارتهن التصور المنهجي للناقد جورج **بليخانوف** بوعي نقدي كبير، نظرا لانتباهه إلى ضرورة الاهتمام بالمعطى التخييلي للنص الأدبي، إلى جانب الاهتمام بالمعطى الايديولوجي، لكن هذا الوعي كان على المستوى النظري فقط، إذ على صعيد الممارسة النقدية لم يهتم **بليخانوف** سوى بالمضامين والايديولوجيات، فكان نقده يندرج ضمن سوسيولوجيا المضامين رغم دعوته إلى الاهتمام بالقيم الجمالية.

-إن النقد الجدلي شكل من أشكال النقد الاجتماعي مرتهن بالبحث عن المضامين، والكشف عن الأبعاد السياسية والايديولوجية، واستجلاء الصراعات الفكرية المبثوثة في النص الروائي، الذي كان متنا منسجما مع أطاريح النقد الاجتماعي، إذ كان لظهور الرواية بخصائصها الفنية والأجناسية، دورا عميقا في تطوير مسار النقد الاجتماعي، والبحث عن واقعية المتخيل، ويمكن أن نعد نقد كل من **لينين وتروتسكي** وغيرهم من النقاد الذين اهتموا بأدب الثورة، أن نقدهم جدّلي.

-كانت إسهامات كل من النقاد: **بيلنسكي، ولوي ألتوسير، وغرامشي** عميق الأثر في تطوير الرؤى النقدية، عبر إضافاتهم النوعية في مجال النقد الاجتماعي للأدب، إذ إن ما يميز مشروع **بيلنسكي** النقدي هو بلورته مقولة: ضرورة الانسجام بين الأطروحة النظرية والممارسة النقدية، واهتمامه في سياقات ضيقة جدا بالنقد الاجتماعي، أما جهود **لوي ألتوسير** فتكتسي عميق الأهمية في النظرية السوسيولوجية للأدب، نظير تطويره بعض مفاهيم الفلسفة الماركسية، والكشف عن قيمتها المعرفية، أما المفكر الإيطالي **غرامشي**، فقد أعاد النظر بوعي نقدي حصيف في معطيات الفكر الماركسي، وسعيه إلى تحيينه نتيجة التغيرات الحضارية، التي شهدها العالم في القرن العشرين (ق 20). إذ أثار أسئلة حول الثقافة، والسياسة، والمثقف، ونموذجه، وعلاقته بالمجتمع.

-انفتحت الحركة النقدية العربية في ضوء معادلة المثاقفة على معطيات النظرية الاجتماعية للأدب في القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، إذ كرّست عصبة من النقاد الرواد في خطابنا النقدي العربي جهودها للتعريف بها، وبسط خلفياتها الفلسفية، والكشف عن رهاناتها المعرفية، وتحديد تصورها النص الأدبي، وكيفية قراءته وتأويله، فتأسس بذلك التيار الواقعي في النقد العربي تنظيرا وإنجازا. فقد نقل الناقد **سلامة موسى** التصور المنهجي للنقد الاجتماعي الجدلي إلى عالمنا العربي، وسعى إلى التعريف بمرتكزاته المعرفية، واهتم الناقد **حسين مروة** باستثمار إواليات النقد الاجتماعي الجدلي، في سياق محاورته النصوص الأدبية، مركزا على مضامينها، وفي سياقات ضيقة يهتم بقيمها الجمالية، واللافت للنظر أنه قد راجع مسار الحركة النقدية العربية عبر عينات نقدية، ليبرر للقارئ العربي ضرورة الانفتاح على النقد الواقعي، وتجاوز النقد الانطباعي، كما أسهم الناقد **محمود أمين العالم** أيضا في دينامية الفعل النقدي، عبر مشروعه الفكري والنقدي، متجاوزا دوغمائية النقد الجدلي، منفتحا على البنيوية التكوينية.

بيبليوغرافيا المحاضرات اللبيداغوجية

أولا: المراجع العربية

1) أقضاض محمد: مقاربة الخطاب النقدي بالمغرب، التأسيس، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2007.

2) الجرطي، أحمد: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2014.

3) حرب، علي: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1996.

4) خرماش، محمد: اشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي 2 الواقعية والواقعية الجدلية، مطبعة آنفو–برانت، فاس، ط1، 2006.

5) الذهبي اليوسفي: الأدب والايديولوجيا في النقد العربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2016.

6) الرويلي ميجان والبازعي سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2007.

7) سعيد، ادوارد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

8) سليمان، نبيل: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1985.

9) صانع نور، مريم: ميثولوجيا الحداثة، الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب، تر: أسعد هندي الكعبي، المركز الثقافي في الدراسات الإستراتيجية، ط1، 2018.

10) العالم، محمود أمين، أنيس عبد العظيم، في الثقافة المصرية. دار الثقافة الجديد، ط3، 1989.

11) عباس، محمد: دراسات في النقد الاجتماعي العربي الحديث، جهود التأسيس.دار القدس العربي، وهران،2015 .

12) عيلان عمر: النقد العربي الجديد، مقاربة في نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.

13) عيلان، عمر: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2001.
14) عيلان، عمر: مناهج تحليل الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008.
15) فضل، صلاح: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16) قطوس بسام: دليل النظرية النقدية المعاصرة، مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2016.
17) لحمداني حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، منهج ونظريات نقدية، مطبعة آنفو، برانت، فاس، ط2، 2012.
18) لحمداني حميد: النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990.
19) ماضي، شكري عزيز: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، 2013.
20) مروة، حسين: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.
21) المسكيني، فتحي والمسكيني أم الزين بنشيخة: الثورات العربية... سيرة غير ذاتية، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
22) الموسى أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية.
23) موسى، سلامة: الأدب للشعب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013..
24) وغليسي، يوسف: النقد الجزائري المعاصر زمن اللانسونية إلى الألنسية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، 2002.
25) محمد دكروب، وعبد النبي أصطيف وآخرون: جوامع فكر حسين مروة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

ثانيا: المراجع المترجمة

26) إيغلتون، تيري: النقد والايديولوجيا، تر: فخري، صالح، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016.

27) بليخانوف، جورج: الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1977.

28) بول آرون وآلان فيالا: سوسيولوجيا الأدب، تر، مقلد، محمد على، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2013.

29) بيلنسكي: الممارسة النقدية، تر:فؤاد مركسي، مالك صقور، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982، ص: 05.

30) بيير باربيريس وآخرون: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.

31) تروتسكي ليون: الأدب والثورة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1975 روجي، جيروم: النقد الأدبي، تر: شكير نصرالدين، رؤية للنشر والتوزيع،ط1، مصر، 2016.

32) سلدن، رامان: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

33) فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت –وجهة نظر ماركسية، تر: خليل كلفت المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2004.

34) كارلوس، لنياري، ماريو يوسيبيلا: فكر غرامشي 2، تر: نجيب الشيخ على، دار الفرابي، بيروت، 1978.

ثالثا: المجلات والملتقيات

35) الملتقى الدولي الثاني في الخطاب النقدي الأدبي المعاصر،المركز الجامعي خنشلة،2007.

رابعا: المعاجم:

36) كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: بلقاسم جمال، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

37) عناني، محمد: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة،مكتبة ناشرون، لبنان،1996 .

خامسا: المواقع الالكترونية:

38) www.iraqicp.com:

39) www.arab-ency.com

40) Http://www.alriyadh.com.

41) http://maarifa maroc.blogspot.com

42) HTTPS://archive.volamanline.net

43) Https://aleengclopedia.net

44) Https://cowia.com

45)Https://jilrc.com

فهرس:

مقدمة:..... 5

علاقة الأدب بالمجتمع 8

العلاقة التناظرية بين الأدب والبيئة..... 17

مدام دي ستايل..... 23

ثلاثية تين (البيئة، العرق، الجنس) 30

المنهج التاريخي لانسون..... 39

بليخانوف نظرية الانعكاس 48

الأدب والثورة 56

الواقعية الاشتراكية 63

بلنسكي والممارسة النقدية 72

ألتوسير..... 82

أنتونيو غرامشي: المثقف والمجتمع..... 93

سلامة موسى 103

التنظير الواقعي مع حسين مروة.....110

محمود أمين العالم 120

خاتمة:.....131